ابو الحسن علی الحسنی الندوی

موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامی العلمی ، ندوة العلماء
لکهنؤ (الهند)

ابوالحسن علی الحسنی الندوی

موقف العالم الاسلامي
تجاه
الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامی العلمی ، ندوة العلماء
لکهنؤ (الهند)

۱۳۸۲ ھ ——— ۱۹٦۳ م

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ الهند

الثمن روبيتان

موقف العالم الإسلامي
تجاه
الحضارة الغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

و بعد فهذه رسالة قد بحثت فيها عن موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية ، و هو موضوع علمى عملى حاسم لا يحتمل أدنى تأجيل ، و من أهم القضايا التى يواجهها العالم الاسلامى والأقطار التى نالت حريتها و استقلالها ، و تستطيع أن تقرر مصيرها ، و تحدد اتجاهها و موقفها من الحضارة الغربية ، فى حرية وانطلاق ، و على الموقف الذى تختاره هذه الأقطار و المجتمعات الاسلامية تجاه هذه الحضارة يتوقف موقفها من المنهج الاسلامى فى الحياة و الاجتماع و الأخلاق ، و مدى ارتباطها بالدين — بمعنى الكلمة الواسع — و خضوعها للروح الدينية و الفكرة الاسلامية و وفائها لرسالتها و مركزها ، و بالاختصار اتصافها بالأمة الوسط التى أخرجت للناس .

و قد كثر فى هذا الموضوع الافراط و التفريط ، و الاغراق فى التفاؤل و التشاؤم ، و طغت النزعات و الميول ،

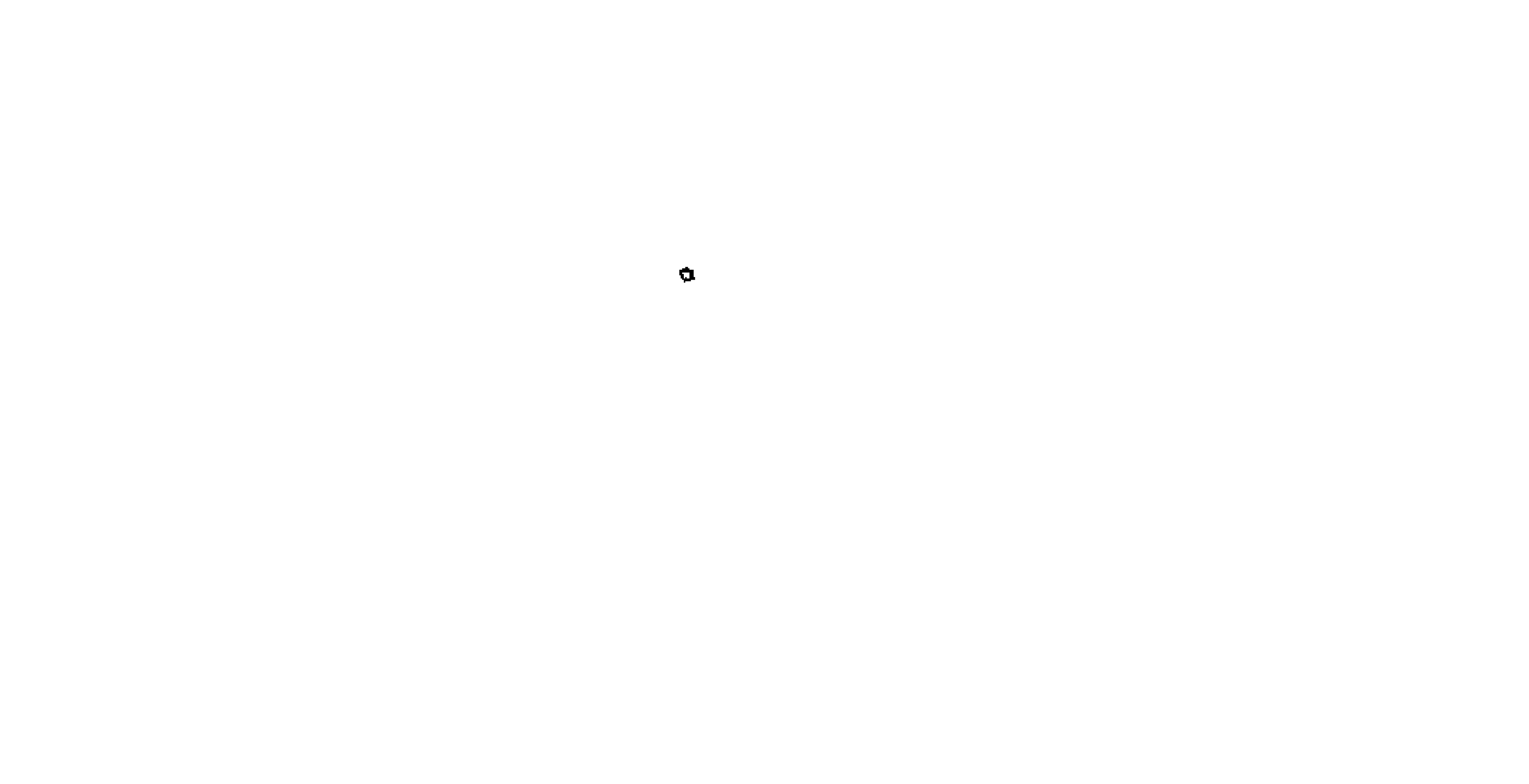
و تأثير التربية و الثقافة و البيئات ، غير مؤسس على البحث العلمى المجرد ، والنظرة الاسلامية الخالصة ، و روح الكتاب و السنة ونصوصهما ، و سيرة السلف الصالح ، فأحدث ذلك صراعا فكريا هائلا فى العالم الاسلامى ، كانت عاقبته وخيمة للجيل الجديد ، و كان العالم الاسلامى فى غنى عنه ، لو حكم الدين و تحرر من السيطرة الفكرية و الثقافية الأجنبية ، و التقليد الأعمى ، و من رجعية التقدميين ، و حاولت جهدى أن أكون واقعياً أكثر من أن أكون علمياً ، أسترسل فى الخيال و المعانى الشعرية ، و أن يتسم هذا البحث بالاتزان و الاقتصاد و السداد ، و حب الواقع و إن لم يرض كثيراً من العاطفيين و المتطرفين .

و قد استعرضت فى هذا البحث حركات التجديد و التطوير فى العالم الاسلامى فى هذا القرن ، و حركات الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية ، و حركات الانتقاد و الثورة عليها ، و ذكرت مالها و ما عليها . من غير تحيز إلى فئة أو تقديس لفكرة ، و ترجمت لزعمائها و قادتها ، و قد ثارت حول كثير منهم شائعات و مبالغات ، و اجتهدت أن أبرزهم فى ملامحهم التاريخية الصحيحة و أصورهم تصويراً لا مثلة فيه و لا تجميل ، حتى يستطيع القارئ الكريم أن يحكم عليهم فى ضوء التاريخ ، و يكون رأيه عنهم ، معتمداً فى ذلك على كتاباتهم ، و مرآة أفكارهم ، و سجل وقائعهم و الوثائق التاريخية .

وقد بدأت بهذ الموضوع كمقال أكتبه لمجلة « البعث الاسلامى »
و لكنه توسع و انشعب الحديث حتى تكون كتاب صغير أعتقد
أنه يجئ فى أوانه ، ويسد عوزاً فى مكتبتنا الاسلامية الفكرية
المعاصرة و يعين على التفكير و التخطيط فى المعركة الفكرية
الحامية ، التى يخوض فيها العالم الاسلامى اليوم ، و على الله قصد
السبيل و منها جائر ؟

أبو الحسن على الحسنى الندوى
٢١ شعبان ١٣٨٢ هـ

المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)



بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الاسلامى أمام
مشكلة الحضارة الغربية : واجه العالم الاسلامى فى منتصف القرن التاسع عشر المسيحى مشكلة فى غاية الدقة و التعقد و الخطورة ، و على الموقف الذى يتخذه تجاه هذه المشكلة الحاسمة يتوقف مستقبله كعالم له شخصيته و كيانه .

هى مشكلة الحضارة الغربية الفتية ، الدافقة بالحياة و النشاط و الطموح و قوة الانتشار و الاستيلاء ، و هى من أقوى الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ ، و التى لم تكن إلا مظهراً من مظاهر العوامل التى تكونت و اختمرت قديماً ، و ظهرت فى أوانها .

واجه العالم الاسلامى هذه المشكلة وجها لوجه ، لأنه هو زعيم الرسالة الدينية و الخلقية ، و صاحب الوصاية على المجتمع البشرى ، بعد ما انسحبت الديانات القديمة من معترك الحياة ، و صاحب القوة الكبرى التى يحسب لها الحساب ، وصاحب الدول

الواسعة فى هذا القرن ، فكان تحدى هذه الحضارة المادية الآلية للعالم الاسلامى أعظم من تحديها لأى أمة ، و لأى حضارة ، و لأى مجتمع بطبيعة الحال .

المزيج الغريب : و كانت هذه الحضارة — بمعناها الواسع — مجموع عقائد و مناهج فكرية ، و فلسفات و نظم سياسيـــة و اقتصادية ، و علوم طبعية و عمرانيـــة ، و اجتماعيـة ، و تجارب خاصة مرت بهـا الشعوب الأوربية التى تزعمت هذه الحضارة فى رحلتها الطويلة ، و كانت مظهر تقدم العلم البشرى و علوم الطبيعة ، و علم الآلات و العلوم الرياضيـة ، و مجموع نتائج جهود علماء و باحثين عبر القرون .

فكانت مزيجاً غريباً من أجزاء لايكون الحكم عليها واحداً متشابها ، كانت مزيجاً من السليم و السقيم ، و من الصواب و الخطاء فى النتائج و الاحكام .

و من البديهيات فى العلم التى لاتقبل الجدال و الشك ، و من التخمينات و التحكمات فى الآراء والدعاوى التى تقبل المناقشة الطويلة و الجدال الكثير ، و مما هو خميرة من الاختبارات والبحوث الطويلة و مما هو فج لا يزال فى دور التجربة و الاختبار ، و النشوء و الارتقاء ، و مما لا يختص باقليم أو عنصر من علوم تطبيقيـة ، و بالعكس مما تجلت فيه الطبيعة الأوربية ، و أثرت فيه البيئة الغربية ، و ولدته حوادث تاريخية خاصة اكتوت بنارها هذه الأمم . و

مما له صلة قوية عميقة بالدين و العقائد ، و مما لا صلة له بالدين مطلقاً ، و ذلك الذى زاد فى تعقد هذه المشكلة و خطورتها ، و أحرج مركز العالم الاسلامى ، و كان فيه بلاء و محنة لذكاء قادته و زعمائه ، و أصحاب التوجيه فيه .

الموقف الأول السلبى : و كانت هنالك ثلاثة مواقف يستطيع العالم الاسلامى أن يقفها أمام هذه المشكلة الطريفة ، لا أرى لهذه الثلاثة رابعاً .

كان الموقف الأول موقف السلب ، و هو أن يرفض العالم الاسلامى هذه الحضارة و ماجاءت به بتاتا ، و يقف منها موقف المعارض الثائر ، أو موقف المعتزل الحائد ، لا يقتبس منها شيأ و لا يسمح بدخول علم من العلوم التى كان للأوربيين فيها التفوق و الاختصاص ، و لا ينتفع بتجارب الغرب فى مجالات الطبيعة و الكيمياء و الرياضة و علم ميكانيكا ، و لا يستورد شيئاً من الآلات ، و الصنائع و الأجهزة ، و أدوات الحرب و البضائع و مرافق الحياة .

حكم هــذا الموقف طبعياً وشرعياً ونتائجه : و هــذا لابد ينتج التخلف الشديد عن ركب الحياة ، و يقطع صلة هذا الجزء عن باقى العالم ، و يكون جزيرة منقطعة لا مناعة لها و لا قيمة ، و البر لا مكان فيه للجزر المنقطعــة الصغيرة ، و لا حرب مع الطبيعــة البشرية ، و منطق

الحوادث و الحقائق ، و هو — بصرف النظر عن كل هذا — ضيق فى العقل ، و تعطيل للقوى الفطرية ، و جنــاية على الاسلام ، و سوء تفسير للــدين الذى يحث على استعمال العقل و التفكير فى الـكون (١) و اقتباس الصالح النافع أينما كان مصدره (٢). و يأمر باعداد القوة الممكنة للدفاع عن الدين و إرهاب العدو(٣) و ينظر إلى الانسان كخليفة الله فى هذه الأرض (٤) سخر له البحار و الأنهار ، و سخر له الشمس و القمر و سخر له الليل و النهار ، و آتاه من كل ما سأله بلسان المقال أو بلسان الحال(٥) و امتن على عباده بانزال الحديد الذى فيه بأس شديد و منافع للناس (٦) وضرب رسوله المثل لأمته باقتباس بعض أساليب الحرب

---

١ ـ إن فى خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، (آل‌عمران ١٩٠ ـ ١٩١) .

٢ ـ الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها

٣ ـ و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله عدوكم الآية (الانفال) ٦٠

٤ ـ إنى جاعل فى الأرض خليفة (البقرة ٣٠)

٥ ـ الله الذى خلق السموات و الأرض ، و أنزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره و سخر لكم الانهار و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار ، و آتاكم من كل ما سألتموه ، و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفار (ابراهيم ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤)

٦ ـ و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس (الحديد ٢٥)

و الدفاع من غير المسلمين و غير العرب ، فحفر الخندق فى الأحزاب كما كان يحفره الفرس ، و على هذه السيرة سار أصحابه و فقهاء أمته من بعده ، فكانوا يسايرون الزمن و يجارون الأمم فى الأساليب الحربية و اتخاذ آلات الحرب و وسائل القوة ، و تعلم العلوم النافعة ، و يسبقونها أحيانا .

و لو حاول قطر من الأقطار أن يطبق عينه و سمعه عن تحدى هذه الحضارة الصارخ أو أن يرفضها رفضاً باتا ، و صمم على أن يعيش فى عزلة عن العالم المعاصر ، منطويا على نفسه لما استطاع ذلك، ولواجه ثورات لا آخر لها ، وعصياناوتمرداً فى الداخل، لأنه يعارض الفطرة الانسانية الوثابة الطموح ، الولوع بالجديد الطالبة للمزيد ، الطامحة دائماً إلى المجد و القوة و التجديد ، و يعارض كذلك السنن الكونية و طبائع الأشياء ، و لو فعل ذلك قطر من الأقطار لتسربت هذه الحضارة إلى أسر هذا القطر و بيوته ، كما يتسرب الماء فى القرية أو المدينة إذا أحاط بها السيل من كل جانب ، و طغى عليها الفيضان .

مصير الأقطار التى تعيش فى عزلة عن العالم : لقد كانت الفترة التى عاشت فيها بعض الأقطار الاسلامية بعيدة عن الحضارة الحديثة بخيرها و شرها ، زاهدة فى مرافقها و أساليبها ، منطوية على نفسها ، لقد كانت هذه الفترة دائماً قصيرة مضطربة مهددة بالغز و الحضارى ، و

الثقافى من الخارج ، و موجات هذه المدنيـــة العاتية التى تتغلغل إلى الجذور و الأعماق ، و تذهب بالقيم و المفـاهيم و مبـادئ الأخلاق ، و يشك كل عاقل عرف قوة نفوذ هذه الحضارة وسعته و عرف ضعف هـــذه الأقطار الروحى و المادى و فقدان ما يقاوم هذه الحضارة من إيمان و قوة شخصية وثقة ، يشك فى بقاء هذه الأقطار فى سلخها و حصارها المدنى والثقافى والاجتماعى، و يشك فى طول هذه الفترة ، لأنها — مع وجود هذا الضعف فى الشخصيـــة و الفقر فى القوة المعنوية — غير صالحة للطول و الإمتداد ، فضلا عن البقاء و الإستمرار .

زار الأستاذ محمد أسد — الذى عاش فى أوربا و تجول فى العالم الاسلامى — الجزيرة العربية الوادعة الهادئة فى سنة ١٩٣٢م و هى لا تزال متمسكة بتقاليدها العربية الاسلامية أشبـه بالماضى منها بالحاضر ، لم تجس خلالها الحضارة الغربية ، و لم تقتحم سورها — الرملى — الأساليب الغربية و المصنوعات الحديثة ، فشك فى طول حياة هذه العزلة ، و البعد عن تأثير الحضارة الغربيـة التى طوقت الجزيرة ، فقال :

« و عند ما وصلت بتفكيرى إلى ذلك الحد ، سألت نفسى فجأة ، إلى متى يستطيع زيد (١) و قوم زيد (العرب) أن

---

١ ـ البدوى العربى الذى كان مرافق محمد أسد فى مغامراته و رحلاته فى صحراء العرب ، و دليله فى هذه الرحلة .

يحتفظوا بتماسكهم الروحى فى وجه الخطر الذى يطبق عليهم بكثير من الخداع و المكر ، و بصورة لا تعرف الرحمة ، أو اللين ؟ نحن نعيش فى زمن لم يعد الشرق فيه يستطيع أن يبقى ساكنا سلبياً فى وجه الغرب الآخذ بالاطباق عليه ، إن آلافاً من القوى — السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية — تطرق أبواب العالم الاسلامى فهل يخضع هذا العالم و يستسلم إلى حضارة الغرب و يفقد خلال التفاعل ، لا أشكاله و أنظمته التقليدية فحسب بل جذوره الروحية أيضاً (١) »

نعم لم تطل هذه الفترة فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن غزتها الحضارة الغربية و تدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ، و المستوردات الغربية ، و أكثر من أسباب الترف و من « الكماليات » فشحنت الأسواق ، و ملأت البيوت ، و قضت على التقشف فى الحياة و صفات الفتوة و الفروسية التى عرف بها العرب من قديم الزمان ، و كانت من أسباب قوتهم و انتصارهم ، و ظهر اتصال الجزيرة بالغرب عن طريق الحضارة و الثقافة و السياسة و عن طريق البترول ، و كان هذا الاتصال و هذا الاقتباس من الغرب فى مجال الحضارة و التجارة و الثقافة عن ارتجال و تهور و من غير تفكير هادئ و تصميم سابق ، فأصبح هذا الاستسلام للغرب الذى تخوف منه الأستاذ محمد أسد

---

٢ - الطريق إلى مكة ص ١٤٠

أمراً واقعاً ، و أصبحت الجذور الروحية — فضلا عن الأشكال و الأنظمه التقليدية — مهددة .

التقاليد و العادات لاتستطيع

أن تقاوم الحضارة الجديدة : و لن تطول هذه الفترة ـ السلبية ـ في أى قطر من اقطار الشرق لأن التقاليـد و العادات و الجهاز الاجتماعى أو الادارى الذى ليس وراءه عقيدة راسخة قائمـة على فقه و بصيرة ، و ليس معه ذكاء و ألمعية ، و المقدرة الكافيـة على تطبيق الحقائق و المبادئ الدينيـة الخالدة بالحياة المتطورة و حاجاتهـا الجديدة ، و التمييز بين ما يصلح للاقتباس من الحضارة الجديدة و منتجاتها و ما لا يصلح ، لا يستطيع أن يقف طويلا في وجه هذه الحضارة العارمة ، و كل قطر أو قيادة تمنى نفسها بالاحتفاظ بالقديم ، و الانحصار في دائرتها من غير هذه المقومات التي ذكرناها و من غير إيمان جديد قوى ، و عقل واع منتج مهددة بالانهيار عاجلا أو آجلا .

و إذا لم يكن الاقتباس من الحضارة الغربية و مرافقها و منتجاتها عن إرادة و تصميم ، و باختيار و تمييز ، و عن فقه و بصيرة ، هجمت هذه الحضارة على هـذا القطر أو المجتمع غصباً ، و على الرغم من قادته و ولاة الأمر فيه ، و على الرغم من العلماء و زعماء الدين ، و رحب بهـا أهل البلاد ، و فتحوا لهـا الأبواب ، و التهموها — بصالحها و فاسدها — في نهامة

و جشع ، و اكتسحت القيم الدينية و الخلقية و غلب قادة البلاد أو ولاتها على أمرهم ، و أفلت منهم الزمام إلى آخر الأبد .

لابد من التخطيط

وإصلاح الاوضاع : لقد أصبحت الأقطار الشرقية — من غير استثناء تقريباً — فريسة الحضارة الغربية فى الزمن الأخير ، و انجرفت فى سيلها العارم من غير امتناع ، أو مقاومة لفقدان العقل الراجح المتزن فى القيادة و فقدان « عملية التميز و الاختيار المحكمة » فى الوجهين . و عدم وجود التصميم أوالتخطيط الحكيم فى نظام المعارف و تنظيم البلاد تنظيما جديداً قائماً على التجارب الحديثة ، و بسبب وجود نظم و أوضاع كانت نتيجة الانحراف عن التعاليم الاسلامية الصحيحة ، لا يقرها العقل و العدل ، و لا تصلح للبقاء فى أى عصر من العصور فضلا عن هذا العصر القلق الثائر .

و هذه قصة افغانستان التى عرفت فى الشرق بشدة محافظتها و تمسكها بالقديم و التقاليد الافغانية القديمة ، فقد استطاعت أن تعيش بعيدة عن تأثير الحضارة الغربية محتفظة بتراثها القديم من ثقافة و اجتماع ، تزهد فى الجديد الصالح حتى رفعت الحجاب بينها و بين الحضارة أخيراً و بدأت تهجم على الحضارة الغربية و عاداتها و تأخذها بنهامة و شغف .

و تكاد تكون هذه قصة اليمن ، و جميع الأقطار الاسلامية

التى أقامت حولها سوراً عالياً يمنع من دخول كل جـــديد ، من العلوم المفيدة ، و التنظيمات الصالحة ، و الوسائل البريئة وطرق ترفيه الشعب ، و تقوية البلاد عسكريا و صناعياً و تموينا .

و لقد كان الوعى الاسلامى كافياً و كافلا لإصلاح هذه الاوضاع و لكنه كان ضعيفاً أو مغلوبا على أمره ، حتى جاءت هذه الحضارة المادية الثائرة تنادى فى شئ كثير من الغلو و الاسراف بالحرية و المساواة ، و تدعو إلى قلب الأوضاع القديمة مهما كانت ، فتفشى القلق و التذمر فى هذا المجتمع ، و قوى الشعور و تضخم بفساد هذه الأوضاع و عدم صلاحيتها للبقاء ، و جاشت النفوس بالكراهة و الثورة على الأوضاع القائمة مهما كانت عاقبتها ، و هذا سر ظهور الثورات العسكرية فى الأقطار الاسلامية ثورة بعد ثورة ، و حكم عسكرى على اثر حكم عسكرى آخر .

سبب حدوث الثورات فى العالم الاسلامى و علاجه : و لعل العالم الاسلامى كان أكثر استعداداً و تهيؤاً لهذه الثورات لوجود الوعى الدينى ، الذى يبعث على القلق و الانكار فى هذه البلاد أكثر من عالم آخر أو مجتمع آخر ، أو لفساد الأوضاع فيه أكثر من أى ناحية ، و مادام التخلف فى الحياة و القوة و مادام الفقر المدقع فى بعض الطبقات الذى لا يجد معه صاحبه مايقيم الصلب ، و يكسو

العورة ، و يمسك الرمق ، و مادام الثراء الفاحش ، و الاكتناز المجرم و العبث بالأموال إلى حد السفاهة و الجنون ، و مادام الترف و الفجور و الاستهتار فى طبقات الامراء و الاغنياء تروى قصصه المضحكة المبكية فى كل ناد و فى كل صحيفة ، ومادام الجهل ضاربا أطنابه على الشعب ، ومادام العلماء و زعماء الدين يتقاصرون عن أداء واجبهم الدينى ، و إزجاء كلمة الحق أمام الأقوياء و الأغنياء و يتنافسون فى المناصب و الوظائف و يتصارعون على التافة من الخلافيات و الخسيس من المادة ، و حكاياتهم تروى و تتناقل ، و مادامت التربية الدينية و الأمثلة العملية — فى الورع و الزهادة و سمو النفس و الشجاعة الدينية — مفقودة أو نادرة فى حكم المعدوم ، و مادامت الدعايات و الدعوات تتسرب إلى المجتمع و تجد مرتعا خصبا فى النفوس ، و أدلة و مؤيدات فى الأوضاع ، مادام هذا الوضع الغير الطبيعى و الغير الاسلامى سائداً فى هذه الأقطار الاسلامية فإنها مهددة — لا محالة — بالفوضى الخلقية و السياسية ، معرضة للثورات العسكرية أو الشعبية ، واقفة على فوهة بركان متهيئ للانفجار فى أي وقت كان .

و لا يمنع من ذلك سلطة قوية ، أو عقاب صارم ، أو محاسبة دقيقة ، أو مراقبة تحاسب على الناس الأنفاس و تتبع الخواطر و الهواجس ، و لا دعايات صحفية أو إذاعية ، و لا بذل

أمـوال طائلة على أصحاب الأغراض و المطامع ، و لا مآدب سخيـة فى السفارات ، و لا مشروعات ترضى أصحاب العاطفـة الدينية ، إنمـا سبيله مواجهة الحقائق بشجاعة و علم ، و إصلاح الأوضاع باخلاص و صدق ، و إزالة ما يجب إزالتـه من الفساد ، و تحقيق ما يجب تحقيقه من المطالب ، و تحقيق العدالة الاجتماعية كما أمر بها الاسلام و ثبت فى صريح القرآن و صحيح السنة ، و السعى الحثيث لرخاء الشعب ، و أن يجد كل فرد من أفراد الشعب — بقـدر الامكان — قوته ، و منع البذخ الذى يحول بين الشعب و قوته ، و « حاجيـاته » و أن يسبك نظام المعارف سبكا جديداً يتفق مع عقيدة هذه البلاد و رسالتها و مع تطور العصر الحديث و علومه الجديدة ، و يخلق فى الجيل الجديد الايمـان و الخلق و الاستقامة و الثقـة بالنفس ، و الاعتزاز بالدين و الحماسة فى سبيله ، و يخلق فيه روح الابتكار و الاستقلال الفكرى ، و العصامية و مواجهة الغرب بشجاعة و ذكاء ، و إعادة الروح الدينية و الايمـان القوى . و الشعور الخلقى ، و الوعى الاسلامى . فى الشعب . و إزالة القلق و التذمر بازالة أسبابهما و دواعيهما ، و باصلاح الأوضـاع و السير و الاقتباس من الغرب ما يصلح لشعب إسلامى ، و يتفق مع عقيدته السمحة ، و ما له قيمة عملية إيجابية ، و ما يقوى الشعب و ينفعه فى كفاح الحياة و المجد والدعوة إلى الله .

هذا هو السبيل الوحيد لإقرار الأمن و السلام ، فى هذه المناطق الشرقية الاسلامية ، و بقاء هذه الشعوب على إسلاميتها و عقيدتها و سيرتها الدينية ، و بعبارة علمية مركزة « إن العالم الإسلامى و أقطاره فى حاجة إلى بناء مجتمع اسلامى تقدمى عادل تستطيع فيه الطريقة الاسلامية فى الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً (١) »

الموقف الثانى موقف الاستسلام و التقليد : و الموقف الثانى ، موقف الاستسلام و الخضوع الكامل ، موقف المقلد المؤمن المتحمس ، و التلميذ البار الصغير الذى لم يبلغ بعد سن التمييز ، و هو أن يقبل العالم الاسلامى — أو جزء منه — هذه الحضارة — المادية الآلية ذات الطبيعة الخاصة — بحذافيرها ، يقبلها بعقائدها الأساسية ، و مناهجها الفكرية ، و فلسفاتها المادية ، و نظمها الاقتصادية و السياسية ، التى نشأت و اختمرت فى بيئة بعيدة عن بيئة هذه الأقطار تحت ضغط عوامل و حوادث خاصة ، و بتوجيهها ، و يحاول تطبيقها فى هذا البلد الاسلامى برمتها ، و يتحمل فى سبيل ذلك كل صعوبة و عنت ، و يدفع له أعظم ثمن ، و أبهظ قيمة .

---

١ - استفدنا فى هذا التعبير من بعض ما جاء فى كتاب « الطريق إلى مكة » للاستاذ محمد أسد ص ٢٢٠ .

حـــركة « التغريب »
في تركيا و أسبابها : و قد سبقت — إلى هذا الأسلوب من التفكير و المنهج من العمل — تركيا الاسلامية ، و كان ذلك نتيجة طبعية لعوامل كثيرة ، و رحلة طويلة ، فقد حاربت أوربا مدة طويلة من غير أن تستعد لهـــذه الحرب ، و تتسلح بسلاح عدوها العلمى و الصناعى ، و فرطت فى اقتباس العلوم المفيدة من أوربا و الصناعات و الفنون الحربية و التنظيم الادارى تفريطاً مجرما ، و أبدى العلماء و زعماء الدين ضعفاً و قصوراً فى توجيه الأمة و البلاد توجيهاً علمياً و فكريا ، و فى الإشراف على اتجاهاتها التى يفرضها الزمان و المكان ، و تغير الأحوال فى العالم كله ، و تقرير الصالح منها ، و تزييف الطالح ، و وقفوا على ما وقف عليه العلم و المعرفة و التفكير ، فى القرن الثامن عشر ، و فوق كل ذلك فقد استغل السلاطين — إلا من عصم ربك — اسم الدين و اسم الخلافة لصيانة مصالحهم الخاصة ، و تحقيق رغباتهم ، و كانوا من أسباب تأخر البلاد ، و الهزائم و الانتكاسات التى تحققت بالأمة ، و ممالأة الأعداء فى أحيان .

أما الجيل الجديد ، الذى كان يتلقى ثقافته فى عواصم أوربا أو فى بعض الكليات العصرية ، فى تركيا ، فقد نشأ على الاستهانة بقيمة الدين و اليأس من مستقبله ، و كراهة رجاله و احتقارهم و على تقديس الحضارة الغربيـــة و تمجيدها ، و الخضوع الزائد

للقيم المادية و المفاهيم الغربية ، و فقد فى هذا الجيل العقل النابغ المتعمق الذى يقدر على نقد فلسفة الحياة الغربية و معرفة جوانب الضعف فيها ، و جوانب الافراط و التطرف و معرفة ما يصلح لتركيا الزعيمة للعالم الاسلامى اقتباسه و الافادة منـــه ، و ما لايصلح و لا يتفق مع طبيعتها و تاريخهـــا و مكانتها فى العالم و مركزها فى الشرق الاسلامى ، و أكثرهم من نوع « العسكريين » و المعلمين الذين لم تكن ثقافتهم واسعة و لا عميقة و لاحرة(١) أو الذين انتهت بهم تجارب حياتهم الخاصة ، و ما لقوا من العلماء و « المحافظين » من تثبيط أو عدم تشجيع ، و ما جربوه فيهم من جمود و ضيق تفكير ، و ما رأوه فى الجيـل المسلم القديم ، و زعمائه من النفاق ، يقولون ما لا يفعلون ، و ينهون عن شئ و يأتونه ، أو ما شاهدوه فى البلاد من تأخر و ضعف

---

١ - تقول الفاضلة خالدة اديب خانم فى كتابها « الصراع فى تركيا بين الغرب و الشرق » كان أعضاء جمعيـــة الاتحـاد و الترقى الشبان من صغار الموظفين الرسميين ، أو ضباطاً فى الجيش ، و لم يـكن فيهم فى أول الأمر فرد واحد ، حائزاً على مكانة علمية سامية ، و يفهم الفرق بين العصر القديم و العصر الحديث فى ضوء التحليل و النقد العلمى ، و لـكن هولاء الشباب كانوا أقرب إلى الشعب و كانوا إنتاجا وطنياً خالصاً ، و كان معظمهم من أهل مقدونيـه الذين اشتهروا بحب الواقعية و القسوة ، و لا يتحاشون عن شئ فى سبيل الوصول إلى غايتهم ، لذلك رغم أنهم كانوا يهدفون إلى غاية نبيلة ، كانوا يستخدمون جميع الوسـائل للوصول إلى غرضهم من غير احتشام و تورع .

Conflict Between Est - West In Turkey

انتهى بهم كل ذلك إلى الثورة على كل قديم ، و على كل موجود ، و على التصميم على « تغريب » تركيا .

ضياء كوك الب و فلسفته : و وجد مثل (ضياء كوك الب) (١) فى مجال التفكير ، الذى دعا بكل قوة و صراحة إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، و تكوينها تكويناً غربياً قومياً خالصاً ، و إيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التى ساهم الأتراك — على زعمه — فى تكوينها و حراستها ، يقول فى مقالة له :

« إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الابيض المتوسط القديمة ، و كان مؤسسو هذه الحضارة — التى نسميها بحضارة البحر الابيض المتوسط — من الأتراك ، مثل السماريين ، و الفينقيين و الرعاة ، لقد كان فى التاريخ ، عصر طورانى قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجدادنا و فى زمن متأخر جداً ، رقى الأتراك المسلمون هذه الحضارة و نقلوها إلى الأوربيين ، و بتحطيم الامبراطوريتين

---

١ ـ ولد فى سنة ١٨٧٦ م و تعلم فى استنبول ، و عين استاذاً لعلم الاجتماع ، فى جامعة استنبول ، و كتب معظم مقالاته بين ١٩١١ و ١٩١٨ م و بين ١٩٢٢ و ١٩٢٤ السنة التى توفى فيها ، و يعتبر كمال أتاتورك تلميذاً له فى آرائه و اتجاهاته ، و مطبقاً لما رسمه ضياء من المشروعات و المخططات الفكرية فى بحوثه و مقالاته

الرومانيتين الغربيـــة و الشرقيـة أحدث الأتراك انقلابا فى تاريخ أوربا . لذلك نحن جزء من الحضارة الغربيـة و لنا سهم فيها »

و يذكر موجبات اعتناق الحضارة الغربية و ما يحدث ذلك من انقلاب ، و ما يفيض من قوة و روح جديدة ، و مركز فى العالم ، و أنه لا يستلزم الإنسلاخ من الدين القديم ، فيقول :

« حين تقطع أمة شأواً بعيداً فى نشوءها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضاً ، لما كان الأتراك قبائل رحالة فى آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، و لما انتهوا إلى عصر « السلطنة » دخلوا فى مساحة الحضارة البزنطيـــة ، و الآن فى طور انتقالهم إلى الحكومـــة الشعبية ، هم مصممون على قبول حضارة الغرب .

إن شعوبا تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة ، إن اليابانيين و اليهود يشاركون الأوربيين فى حضارة واحدة ، رغم اختلافهم فى الدين و العقيدة ، و بعبارة أخرى الدين و الحضارة شيئان مختلفان ، لذلك من المغالطة أن تسمى « حضارة اسلاميـــة » كما لا يصح أن تسمى « حضارة مسيحية » الدين محدود فى العقيدة و الطقوس التى لا صلة للفنون و العلوم بها »

« لما حرر الغربيون أنفسهم من رواسب القرون الوسطى كان المسيحيون الخاضعون للكنيسة ، الارثوذكسية فى روسيا

لا يزالون عبيداً لها ، و قد عانى بطرس العظيم صعوبات شديدة فى كفاحه لتحرير الشعب الروسى من سيطرة الحضارة البزنطية ، و تقديمهم إلى الحضارة الغربيـــة ، و لكى يعرف الانسان ما هى الوسائل و الأساليب التى يجب أن تستخدم لتغريب البلاد وطبعها بطابع الغرب يكفى أن يدرس تاريخ إصلاحات بطرس ، و كان الناس يعتقدون إلى ذلك الحين أن الروسيين لا يصلحون للتقدم ، و لكنهم بعد الثورة بدأوا يتقدمون بسرعة زائدة ، و يقطعون شوطاً بعيداً فى ميدان النهضة ، و هذه الحقيقة التاريخية تكفى لاثبات أن الحضادة الغربية هى الشارع الوحيد إلى التقدم »

« علينا أن نختار إحدى الطريقين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب ، لابد أن نختار أحد الأمرين ، يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لندافع عن حريتنا و استقلالنا »

دور تركيا التقليدى : إن قادة هـــذا الفكر و الدعوة التى يتزعمها ضياء كوك الب ، كانوا يستحقون إعجابا كبيراً من المؤرخين المنصفين ، و رجال الفكر الأحرار فى العالم الاسلامى ، و إن تركيا كانت تحتل مركزاً خطيراً . فى خريطـــة العالم السياسية ، و الثقافية ، و الاجتماعيـة ، و قد تغير مجرى التاريخ إذا سيطرت على الحضارة الغربية ، و امتلكت ناصيتها تقودها و تسيرها ، إلى غاية مرسومـــة ، و تتصرف فيها تصرف القائد

الحر ، الذى يملك إرادته ، و العالم المجتهد الذى يفـكر بعقله ، و كانت القدوة الحسنة للشعوب الشرقية الاسلامية التى تعانى الصراع العنيف بين الشرق و الغرب ، و تواجه تحدى الحضارة الحديثة السافر ، و تنظر إلى تركيا كزعيم و إمام ، و أول من اكتوى من الشعوب الاسلامية بنار هذا الصراع بين الغرب و الشرق و واجه زحف الحضارة الغربية و فلسفة الحياة الحديثة.

و لكن ذلك — مع الأسف — لم يتحقق ، إن الذى تحقق هو تقليد تركيا للحضارة الغربية و تمسكها ببعض شعاراتها و مظاهرها ، و الاصلاحات السطحية التى لا تقدم و لا تؤخر فى حياة الشعوب و الأمم و المجتمعات و المدنيات ، و لا صلة لها بالقوة الحقيقية و العظمة السياسية ، و التى فصلت تركيا عن ماضيها القريب ، و عن التراث العلمى الغنى الذى ساهمت فى تكوينه الأجيال الكثيرة و العقول الكبيرة ؛ و فصلت تركيا — زعيمة العالم الاسلامى بالأمس — عن العالم الاسلامى ، و أحدثت فجوة عميقة بين رجال الحكم و التوجيه ، و بين الشعب المسلم القوى ، الفائض بالحب و الايمان و العاطفة الدينية ، الذى ملأ قلوب العالم مهابة و إجلالا لقوة هذه العاطفة و تدفقها . و استطاع أن يقف فى وجه أوربا و غاراتها الساحقة ، و مؤمراتها الدقيقة المستمرة ، التى لم تنقطع و لم تقف يوما واحداً و التى لا قبل لأمة عادية بها ، رغم الضعف الشديد المستمر فى

الطبقة الحاكمة ، و الخيانة فى الضباط و أفقد الشعب النشاط و الثقة ، و الحماسة التى كانت من أبرز مزايا هـذا الشعب المسلم الخالد . و أحـدثت اضطرابا فى المجتمع و فتوراً فى إجابة الدعوات التى تصدر من القيادة و مركز الحكم ، و احتاجت الحكومات المختلفة إلى كبت هذا الشعور و كبح هذه العاطفة ، و تحويل الأمة إلى المادية و القومية و الحضارة الغربيـة ، و الانحصار فى دائرة التفكير الضيقة و المساحة المحدودة بعنف و قسوة لا نظير لها ، ذهب ضحيتها رجال كان فيهم الغناء الكبير للأمة ، و الخير الكثير للبلاد ، و لا يزال الصراع قائماً بين العقلية الحاكمـة و عقلية الشعب المغلوب على أمره ، و لا تزال الشرارة ـ الايمانية ـ كامنة فى النفوس و القلب مستعدة للالتهاب بأدنى حركة و أضعف إشارة .

إن دور الشعب التركى فى اقتباس الحضارة الغربية كان دوراً تقليديا يخلو من كل « أصالة » و من كل ابتكار ، و من كل عصامية ، و من كل إنتاج ، فلم تعمل شيئاً جديا للسيطرة على هذه الحضارة التى انطلقت من الغرب المادى ، السيطرة التى دعا إليـها ، و حلم بها ، ضياء كوك الب ، فى مقالته السابقـة ، و لم تعمل شيئاً لامتلاك ناصيتها ، و التغلب على قيادتهـا . إنما كان دورهـا دور الاستيراد و دور الاستعـارة و دور التطبيق ، لا أقل و لا أكثر ، و لم ينبغ فيها فى هذه الفترة نابغـة ، فى

العلوم التطبيقية ، و لا عملاق فى العلوم و الآداب ، و لامؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر و الفلسفة ، و لا من يضيف إلى هذه الحضارة شيئاً أصيلا له قيمته العلميـــة ، و لذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على حاشية الشعوب الأوربية، و لم يكن هذا قيمة ما ضحى به هذا الشعب من السطوة السياسيـة و الحماســة الدينية ، و الدوافع الخلقية و الزعامة فى العالم الاسلامى .

شخصـــية أتاترك

ومأثرته التقليدية : لم يـكن كمال أتاتورك (١) — مؤسس تركيا

---

١ - هو مصطفى كمال باشا بن على رضابك ، ولد بمـدينة سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م ، وأصل أسرته من قرية بالاناضول ، و التحق بمدرسة ابتدائيـة تسير على النهج الأوربى الحديث ، ثم بمـدرسة أهلية ثانوية فمكث بها سنة ثم تركهـا و دخل مدرسة حربية ، ثم انتقل إلى المدرسة الحربية باستانبول و تخرج منهـا ضابطاً ، وكان ذلك فى عهد السلطان عبـد الحميد الثـانى ، و اشترك فى بعض المؤامرات ضده ، فقبض عليـه و نفى إلى دمشق و هرب منهـا إلى سلانيك ، و التحق بجمعية «الاتحاد و الترقى» و التحق بالجيش ، و عهد إليه بالاشراف على سكة حديد مقدونية ، و خلع السلطان عبد الحميد ١٣٢٧ - ١٩٠٩ ، و قامت الحرب العالميـة الأولى سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤م و انضمت تركيـا إلى ألمـانيا و النمسا ، و اشترك كمال فى هذه الحرب و كان له موقف عظيم فى معركة غاليسبولى سنة ١٩١٥ م فذاعت به شهرته و انتهت الحرب سنة ١٩١٨ م بهزيمة ألمـانيـا و تركيـا ، و احتلت انجلترا و حلفـاؤها استانبول ، و اختل الأمن فى بلاد الأناضول فاختير كمال ليقوم بحفظ النظـام سنة ١٩١٩ م و أعلن الحرب على اليونان الذين استولوا على أزمير و انتصر عليهم سنة ١٩٢١ م فى معركة سقارية و لقب بالغازى ، و أقام فى انقرة حكومة مستقلة ، و ألغى الخلافة و سلطنة آل عثمان ، و أقام حكومة جمهورية علمانية كان أول رئيسها سنة ١٩٢٤ م و استمر على ذلك حتى توفى سنة ١٩٣٨ م .

الجديدة – عالماً واسع الثقافة ، أو مفكراً عميق النظر ، إنما كان زعيما قومياً قوى الإرادة . و حاكماً قويا شديد التنفيذ يوجز وصفه مؤرخه الانجليزى الشهير ، فيقول : « فى مواهبه و كفايته كان جنديا ، و فى غريزته كان معلم ثانوية ، و فى اتجاهه كان سياسياً » (١)

و مأثرته التاريخية أو بطولته – كقائد و زعيم – مقصورة على « عملية النقل و التحويل » التى قام بها و نجح فيها أكثر من غيره ، يقول المؤرخ السابق ملخصاً دوره «العظيم» الذى مثله فى تاريخ تركيا الأخير .

« انطلق « كمال أتاتورك » يكمل عمل التحطيم الشامل الذى شرع فيه ، و قد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التى تحيط بها ، هو حطم فعلا النسيج السياسى القديم ، و نقل السلطنة إلى (ديمقراطية) و حول الامبراطورية إلى قطر فحسب جعل دولة دينية جمهورية عادية .

إنه طرد السلطان (الخليفة) و قطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، و قد بدأ الآن فى تغيير عقلية الشعب بكاملها ، و تصوراته القديمة ، عاداته ، لباسه ، أخلاقه ، و تقاليده ، أساليب الحديث ، و مناهج الحياة ، المنزلية التى

(1) H . c . Armstrong Grey Woolf P. 294

تربطه بالماضى ، و بالبيئـــة الشرقية ، لقد كان ذلك أصعب كثير من تكوين الجهاز السياسى من جديد ، و كان يشعر بصعوبة هذه العملية فقد قال مرة : « انتصرت على العدو ، وفتحت البلاد هل استطيع أن انتصر على الشعب ؟ » (١)

إنه انتصر على الشعب حقـاً فقد جعل الدولة علمانيـــة ، ليس الاسلام دينها الرسمى ، و أحدث الفصل بين الدين والسياسة و قرر أن الدين قضية شخصية ، لكل فرد أن يختـار له دينا و يدين به ، من غير أن يـكون له دخل فى السياسة ، و الادارة، و ألغى الخلافة ، و ألغى المحاكم الشرعية ، و قانون الشريعة الاسلامية ، و قرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، والقانون الجنائى الايطالى ، و القانون التجارى الألمانى ، و أدخل الأحوال الشخصية فى القانون المدنى الأوربى ، و منع التعليم الدينى ، و عطل مراكزه ، و منع الحجـاب ، و قرر السفور و التعليم المختلط ، و ألغى الحروف العربية و أبدلها بالحروف اللاتينية ، و منع الأذان بالعربية و جعله بالتركية ، و غير اللباس ، و ألزم لبس القبعة ، و بعبارة مورخه .

« قد حطم الأساس الدينى و غير وجهة نظر الشعب التركى و الحكومة التركية » (٢)

---

(1) Grey Woolf . P 287

(2) P . 190

إن « أتاترك » نجح فى إقصاء العنصر الاسلامى و العربى من الحياة التركية ، و لا يدرى أحد هل كان هذا الانتصار موقتا تقضى عليه ثورة الشعب التركى المسلم ، و انتفاضته الايمانية ، أم تطول مدته ، و على كل فقد كان تغييراً شاملا عميقاً .

تأثير أتاترك فى العالم الاسلامى : و هكذا كانت تركيا — مع الأسف — طليعة حركة التجديد — و بعبارة أصح التجدد — و طليعة « التغريب » و قدوة الزعماء « التقدميين » فى الدول والحكومات و الأقطار الاسلامية ، و كان كمال أتاتورك رمز التقدم و « الثورة » فى كل بلد ناهض ، و فى كل مجتمع متحرر فى العالم الاسلامى ، و المثل الأعلى للقادة و السياسيين و المفكرين المسلمين على اختلاف أجناسهم و بيئاتهم ، و لا نعرف زعيما — على فقره فى النبوغ العقلى و التعمق — من زعماء البلاد الاسلامية أثر فى العقول و النفوس ، و أثار الاعجاب بشخصيته و أعماله و أثار الرغبة فى تقليده و الاحتذاء به ، مثل ما فعل « كمال أتاتورك » فى الزمن الأخير .

و كان السبب الأكبر فى ذلك ما اشتهر أنه أنقذ تركيا من الخطر المحدق بها الآخذ بالخناق ، و أسس حكومة قوية ، و كسب احترام الحكومات الأوربية و الزعماء السياسيين فى أوربا ، و كان المسلمون فى الشرق متعطشين إلى القوة السياسية

و المجد و الاستقلال ، يخضعون بالاجلال لكل من يتسم بذلك أو يسعى إلى ذلك ، فخضعوا لأتاتورك و دانو له بالحب العميق و التقديس المفرط . و نسوا فى تقديسهم ما للشعب التركى المؤمن الشجاع من سهم و من فضل فى هذه الثورة ، و فى التمرد على الأوضاع القاسية ، و الأمم الضارية ، و فى بناء هذا الكيان القومى المتين ، و ردوا الفضل كله فى ذلك إلى عبقرية « كمال » و قيادته الفذة .

و السبب الثانى أن اصلاحاته صادفت رغبة فى نفوس الزعماء القوميين ، و عبرت عما تجيش به نفوسهم من القلق و الثورة على القديم ، و التحرر من ربقة الدين ، و الاتجاه بشعوبهم إلى الحضارة الغربية ، و مهما كانت الأسباب فان كمال أتاتورك قد حل محلا فى النفوس لم يشغله زعيم شرقى من زمن طويل ، و كان له تأثيره المتوقع فى اتجاه الشعوب و الأمم الاسلامية و الموقف الذى اتخذته أزاء الحضارة الغربية .

الصراع بين الشرق و الغرب فى الهند : و كان المجال الثانى الذى ظهر فيه — لعوامل سياسية و ثقافية — الصراع بين الشرق و الغرب واضحاً قويا ، و كان مكلفاً باختيار أحد الطريقين ، الحياة الاسلامية على أساس العقيدة و الايمان ، و الحياة الغربية على أساس القوة و التقدم ، هو الهند التى توطدت فيها الحكومة البريطانية ،

الزعيمة للحضارة الغربية فى الشرق و زحفت إليها العلوم الحديثة و التنظيمات الجديدة ، و ما تستتبعها من آلات و مصنوعات و آراء و فلسفات ، و كان الشعب الاسلامى الهندى منهوك القوى ، مثخنا بالجراح ، مجروح الكرامة ، تعانى دهشة الفتح و عار الهزيمة ، و جيشاً من التهم و الظنون ، و يواجه فاتحاً ممتلئاً بالقوة و الشباب و الثقة ، و حضارة زاخرة بالجدة و النشاط و الانتاج ، و قضايا كثيرة و مشكلات تطلب الحل السريع الحازم ، و الموقف الواضح الحاسم .

القيادة الدينية و المدرسة القديمة : فى هذه الساعة العصيبة الدقيقة ، و فى هذه الحالة النفسية المحرجة برز فى الميدان نوعان من القيادة ، أولهما القيادة الدينية التى يتزعمها علماء الدين ، و القيادة الثانية، يتزعمها سيد أحمدخان و تلاميذه و أنصاره من أهل المدرسة الجديدة .

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الاسلامى شخصية دينية ، و من أكثرهم رسوخا فى الدين ، و زهداً فى الدنيا، و إيثاراً للاخرة ، و غيرة على الاسلام و جهاداً فى سبيله بالنفس و النفيس ، و لكن جوهم الخاص الذى عاشوا فيه ، و ثقافتهم القديمة ، لم تمكنهم من السيطرة على هذه الحضارة الغربية و الثقافة الجديدة و قيادتها إلى ناحية جدية مجدية تعود

على الاسلام و المسلمين بالنفع و القوة .

ثم إن الهمجية التى ظهرت من الحكومة الانجليزية والقسوة النادرة التى عاملت بها المسلمين الذين اعتبرتهم أصحاب الفكرة فى الثورة الفاشلة سنة ١٨٥٧ م و قادتها (١) و تحمس الحكام و الولاة الانجليز لنشر المسيحية فى طبقات الشعب الهندى ، والسرعة الزائدة التى كانت الحضارة الغربية تنتشربها فى الجهور وتأثيرها فى عقيدة المسلمين و أخلاقهم، كل ذلك وضعهم فى مركز الدفاع عوضاً عن الهجوم ، و جعلهم يفكرون فى الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية ، و الروح الاسلامى و مظاهر الحياة الاسلامية و الدعوة إلى التجنب عن هذه الحضارة و الابتعاد عنها ما أمكن ، و جعلهم يفكرون فى بناء معاقل الحضارة الاسلامية و الثقافة الاسلامية ، و العلوم الشرعية ، و تخريج العلماء و الدعاة و المرشدين من هذه المعاقل التى سميت بعد بالمدارس العربية .

و كان على رأس هذه الحركة الإصلاحية و التعليمية المنتجة مولانا محمد قاسم النانوتوى (٢) مؤسس معهد ديوبند الكبير ، و

---

١ - إقرأ فصل « الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند » فى كتابنا « المسلمون فى الهند » ص ٨٤ — ٩٤

٢ - هو الشيخ الامام قاسم بن أسد على البكرى النانوتوى ولد بنانوته سنه ١٢٤٨ و قرأ على الشيخ مملوك العلى النانوتوى و أخذ الحديث عن الشيخ عبد الغنى بن ابى سعيد الدهلوى و أخذ الطريقة عن العارف الكبير الشيخ امداد الله العمرى التهانوى و أسهم فى ثورة سنه ١٨٥٧ على الحكومة الانكليزية و اضطر إلى الاختفاء مدة من الزمان و تبنى فكرة تأسيس مدرسة كبيرة فى ديوبند و انقطع إليها و كانت له مواقف ◊

كان لهـــذه الحركة وقادتها فضل كبير فى تمسك الشعب الهنـــدى الاسلامى بالدين و شريعة الاسلام ، و تفانيه فى سبيله ، والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكا لم يشاهـــد فى بلد إسلامى آخر تعرف بهذه الحضارة و وقع تحت حكم أجنبى ، و كانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه و المركز الثقافى ، الدينى و التوجيهى الاسلامى الأكبر فى الهند (١)

حركة ندوة العلماء : و كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التى أسسها مولانا محمـــد على المونكيرى (٢) وقادهـا الأستاذ شبلى

---

* عظيمة فى مناظرة النصارى و الآرية ظهرت فيها براعته و ذكاؤه و إخلاصه و عارض قائد الحركة التعليمية الجديدة السيد احمد خان لآرائه الشاذة و حريته الزائدة فى تفسير القرآن و الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية و قد اعترف السيد احمد خان بتبحره فى العلم و إخلاصـه فى المعارضـــة و زهده فى زخارف الدنيا ، له مؤلفات بديعة اشهرها تقرير دلپذير ، و حجة الاسلام ، و آب حيات ، توفى إلى رحمة الله سنه ١٢٩٨هـ

١ ـ أنظر فصل « مراكز العلم و الثقافة الاسلامية » فى كتاب « المسلمون فى الهند ص ٦٤ ـ ٦٦ .

٢ ـ هو السيد محمد على بن عبد العلى الحسينى ، ولد فى كانفور فى ٣ شعبان ١٢٦٢هـ ٢٨ يوليو ١٨٤٦ م ، تخرج فى مدرسة فيض عام كانفور ، و بايع الشيخ العارف فضل رحمن الـكنج مراد آبادى و اختص به ، قاوم حركة التنصير فى الهند مقاومة فعالة و ألف و كتب و قام بجولات واسعة فى البلاد و أسس ندوة العلماء فى سنـــة ١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٣ م ، و أنشأ دارالعلوم التابعة لها فى عام ١٣١٦ هـ ـ ١٨٩٨ م ، و قاوم حركة القاديانية فى « بهار » و بايعه خلق كثير يعدون بالآلاف ، توفى فى ٩ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ هـ و كان من كبار المخلصين و العلماء الربانيين الذين شعروا بتغير الأحوال و الأوضاع فى العالم الاسلامى ، و نهضوا للتجديد فى مناهج التعليم الدينى .

النعمانى (٣) و زملاؤه ، و دار العلوم التابعة لها جديرة باحداث قنطرة تصل بين الثقافتين الاسلامية و الغربية ، و الطبقتين ، علماء الدين و المثقفين العصريين ، و إحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم و الجديد ، و بتعبير أصحاب هذه المدرسة الفكرية « بين القديم الصالح و الجديد النافع » و « بين التصلب فى الأصول و الغايات و التوسع و المرونة فى الفروع و الآلات » فكانت — لو قدر الله — خطوة مباركة و فتحاً جديداً يستحق التقليد فى الأقطار و المجتمعات الاسلامية التى خاضت فى ذلك العهد فى معركة الصراع بين القديم و الجديد ، و لكن هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الذى كانت تستحقه من كلتا الطبقتين ، القديمة و الجديدة ، لا تساع الفجوة بينهما ، و لوجود التطرف و المغالاة فيهما ، و للخلافات التى حدثت فى صفوف العاملين لهذه الفكرة ، و أخيراً لا آخراً لعدم وجود طبقة من الأساتذة والموجهين،

---

٣ - هو الشيخ شبلى بن حبيب الله ولد فى سنة ١٢٨٤ ﻫ فى آعظم گـڑه ، و درس زمانا فى كلية على گڑه ، و صحب السيد أحمد خان مؤسس الكلية و أنكر بعض اتجاهاته المتطرفة و فارق الكلية و زار تركيا و مصر و سوريا ، و أقام فى حيدرآباد خمسين سنين ، مديراً لنظارة العلوم و الفنون ، و أسهم فى حركة ندوة العلماء و كان عضوها النشيط والمشرف التعليمى لمدة ثمانية أعوام ، ثم استقال و أسس المجمع العلمى المعروف بدارالمصنفين ، فى آعظم گڑه و ألف فى التاريخ الاسلامى كتبا مهمة ، وكانت له مكانة مرموقة فى الشعر و الأدب و التاريخ ، و من مصنفاته المشهورة ، سيرة المامون و سيرة النعمان ، و كتاب الجزية فى الاسلام ، و حقوق الذميين ، و الفاروق و شعر العجم و غير ذلك ، توفى ١٣٣٢ ﻫ ببلدة آعظم گـڑه .

الذين قد تبحروا فى الثقافتين ، و قد أحسنوا هضمهما ، و كونوا من هذه المواد — التى قد تبدو متناقضة — رحيقاً صافياً شهيا نافعاً ، كما تعمل النحل من الأزهار و الأشجار ، و بقى معظم الشعب يتأرجح بين طبقتين ، طبقة ترى العدول عن القديم و نظمه التعليمية و الانحراف عنها قيد شعرة ضربا من التحريف أو نوعا من البدع ، و طبقة تقدس كل ماجاء من الغرب و تبرئه من كل عيب و نقص ، و تعتقد بأصحابه العظمة و العبقرية ، فى جميع الآراء و المذاهب الفكرية .

قيادة السيد أحمد خان و مدرسته الفكرية : أما القيادة الثانية التى تزعمها سيد أحمد خان فقد قام على أساس تقليد الحضارة الغربيه ، و أسسها المادية و اقتباس العلوم العصرية بحذافيرها و على علاتها ، و تفسير الاسلام و القرآن تفسيراً يطابقان به ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى (١) و يطابقان هوى الغربيين و آراءهم ، و تقبلهما أذواقهم ، و استهانة بما لا يثبته الحس و التجربة ، و لا تقرره علوم الطبيعة فى بادى النظر ، من الحقائق الغيبية ، و أمور الطبيعة (٢)

---

١ ـ و كان كما لايخفى دوراً لم تبلغ فيه العلوم الطبيعية نهايتها و اكتمالها ، و كانت لا تزال فى دور الطفولة و النشوء و الارتقاء .

٢ ـ إقرأ للتفصيل و فهم أسلوب التفكير الدينى الذى اتبعه سر سيد أحمد خان فى آرائه الدينية و مناهجه الكلامية ، كتاب — Religious Thought of

شاهد السيد أحمد خان (١) انهيار الحكومة الاسلامية المغولية التى كانت صورة مصغرة شاحبة للامبراطورية الاسلامية و رأى إخفاق الثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ م ، و اطلع على أسباب هذا الاخفاق الذريع و انهزام مجموعة كبيرة ضخمة من أهل البلاد أمام حفنة من الأجانب الغرباء ، و رأى ما دفع المسلمون من قيمة هذه الثورة التى رسموا خطتها و تولوا كبرها ، و رأى هوان الشعب الكبير الذى كان صاحب الأمر و النهى فى البلاد ، و شقاء الأسر و البيوتات الكبيرة ، و رأى سطوة

—Syed Ahmad Khan.

(Bashir Ahmad Dar M. A.) لمؤلفه بشير أحمد دار

Institvite of Islamic Culture, LAHORE.

من مطبوعات مجمع الثقافة الاسلامية .

١ - هو السيد أحمد بن المتقى بن الهادى الحسينى الدهلوى ، ولد فى سنة ١٢٣٢ ه ١٨١٧ م و قرأ المتوسطات فى العلوم العربية ، و عنى بالهيئة و الهندسة و الاقليدس عناية خاصة ، و تولى الوظائف و القضاء فى الحكومة الانجليزية ، و ألف كتبا ذات قيمة علمية فى التاريخ ، و تولى تصحيح بعض الآثار العلمية و المؤلفات القديمة ، و أشرف على ضبطها و نشرها ، و كان من انصار الحكومة الانجليزية و ممن سعى فى إخماد ثورة ١٨٥٧ م و توطيد الحكم الانجليزى و إزالة سوء التفاهم و الوحشة بين الشعب و الحكومة و كافأته الحكومة على ذلك براتب شهرى ، و أنشأ مجمعاً علميا للترجمة و التأليف و النشر ، و اصدر مجلة « تهذيب الأخلاق » و سافر إلى اوربا سنه ١٢٨٦ ه (١٨٦٩ م) و الف هناك كتابه المشهور الخطبات الأحمدية فى العرب و السيرة المحمدية فى الرد على السير و ليم ميور ، و الدفاع عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، و انشأ سنة ١٨٧٥ م كلية اسلاميه انجليزية ، و هى التى تسمى الآن جامعه عليكره الاسلامية و توفى سنه ١٣١٥ ه - ١٨٩٨ م .

الانجليز تقوم على هذه الأنقاض ، و أبهـــة ملكهم ، و طلائع مدنيتهم الخلابة ، و آياتها الباهرة ، و اتصل بالانجليز اتصالا وثيقاً عن طريق الوظيفة و الزمالة ، و عن طريق الصداقـــة و التعارف ، فأعجب بذكائهم و كفاءتهم و مدنيتهم ، و كان رجلا مرهف الحس ، حاد الذهن ، قوى العاطفة عصبياً ، سريع الانفعال و القبول ، مشاركا فى الثقافة الدينية غير راسخ فيها ، و لا متقن لها ، جريئاً فى إبداء الرأى فتأثر بالانجليز ، تأثر المغلوب بالغالب، و الضعيف بالقوى ، و قلد حضارتهم ، و أساليب حياتهم شخصياً و صار يدعو إلى هذا التقليد فى حماسة و قوة ، و يرى أن هذا التقليد و الظهور فى مظهر سيد البلاد و مجاراته فى الحياة و العادات تزيل الهيبـــة من قلوب المسلمين ، و تعالج « مركب النقص » فيهم ، و ترفع مـــكانتهم فى عيون الولاة ، و رجال الحكومة و تضعهم فى مكان الزملاء ، الشركاء فى الحياة ، الأقران فى الاجتماع ، يدل على هذه الفكـــرة دلالة واضحـــة ما جاء فى بعض مقالاته ، يقول :

« لابد أن يرغب المسلمون فى قبول هـــذه الحضارة ، (الغربية) بكمالها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها ، و يعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة » (١) .

و قام السيد أحمد خان برحلة انجلترا فى أول أبريل ١٨٦٩م

١ ـ مجلة « تهـــذيب الاخلاق » مقالات السيد أحمد خان ج ٢ ص ١ .

فكان أول مسلم هندى سافر إلى الجزائر البريطانية ، فى هذا العهد المبكر ، و قد كانت قناة السويس فى دور الإنشاء (١) و قد قابل صاحب فكرتها و الاشراف عليها المهندس الفرنسى الشهير الموسيو فردينان دى ليسپس (Ferdinand De Lesseps) الذى كان مسافراً فى نفس السفينة .

و كان السيد أحمد خان موضع حفاوة نادرة فى لندن ، و قد مكث فيها سبعة عشر شهراً ، كان فيها ضيفاً مبجلا و زائراً كريماً ، و صديقاً عزيزاً ، فى الأوساط الانجليزية المحترمة ، و حضر المآدب الملكية الفخمة و الولائم « الارستقراطية » التى تمثل الحضارة الأوربية فى أورع مظاهرها ، و أخلاق الطبقة الحاكمة ، و طبقة الأشراف ، و نال الوسام الملكى و لقب الشرف ، و قابل الملكة ، و ولى العهد و الوزراء الكبار ، و اختير عضواً فخريا فى جمعيات علمية ذات الشرف الكبير ، وحضر حفلة نادى المهندسين الكبار و اطلع على المشاريع و الخطط التقدمية التى مرت بها البلاد فى الزمن القريب ، و التى أحدثت ثورة و انقلابا فى الأوضاع ، و فى مستوى البلاد ، و مكنتها من بسط نفوذها و سيطرتها الفكرية و السياسية .

---

١ - و فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ (أثناء وجود السيد احمد خان فى لندن) فتحت الترعة لمرور المراكب و جرى ذلك باحتفال عظيم لم يكد يسمع بمثله و ما رجع السيد احمد خان إلى بلاده إلا و المشروع العظيم قدتم و الترعة مفتوحة للسفن .

رأى السيد أحمد خان فرنسا و انجلترا و هما فى أوج مدنيتهما ، و فى ريعان الصناعة الحديثة ، و العلم الجديد ، و رأى المجتمع الانجليزى فى عصر لم يتسرب إليه الوهن ، و لم يعتره الضعف الذى أصيب به بعد الحرب الأولى ، و رأى الحيوية تتدفق منه ، و الطموح إلى غزو العالم و إخضاعه يملك زمامه ، و قد شغل بمشاهدة جانبه المشرق الوضاء عن مشاهدة جانبه الضعيف الأسود ، و هو الجانب الخلقى و الروحى ، و جانب الاستعمار الغاشم ، و الاجرام العالمى و الأثرة القومية ، و القسوة على غير الانجليزى — التى رأى مظاهرها فى الهند — فأعجب بهذه الحضارة و المجتمع الذى يمثلها إعجابا ملك عليه النفس و الفكر ، و ملاء جميع جوانحه و جوانب تفكيره ، و رجع إلى البلاد فى ٢ من اكتوبر سنة ١٨٧٠م داعية متحمساً إلى تقاليد الحضارة الغربية ، و إصلاح المجتمع الاسلامى الهندى على أساس تقاليد المجتمع الأوربى و مبادئه و قيمه ، و تبنى هذه الدعوة بكل إخلاص و بكل حماسة ، و وهب لها مواهبه كلها ، و أصبحت نظرته مادية ، بحتة تخضع للقوى الطبعية ، و السنن الكونية — كما يفهمها — خضوعا زائداً ، و يخضع لها عقيدته و يؤول على أساسه القرآن تأويلا يبلغ به حد التحريف و العبث بأصول العربية و اللغة ، و النحو و التواتر و الاجماع ، فصار يفسر القرآن

تفسيراً (١) يخرق فيه الاجماع ، و ينقض به اللغة ، و يثير العجب و الانكار فى الأوساط الدينية ، و العلمية ، و قد أصاب الدكتور محمد البهى فى نقد هذا الاتجاه إذ يقول فى كتابه « الفكر الاسلامى الحديث »

« لحركة السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعى و الحضارة الغربية المادية ، كما يفتتن فى عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى « العلم » (Sceince) و بالمركبات الحضارية التى قامت عليه ، و الافتتان بالعلم الطبيعى أو بالطبيعة كما يقال يؤدى إلى خفة وزن القيم الروحية و المثالية و هى القيم التى تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التى يمثلها الاسلام أوضح تمثيل ، و قد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعى إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد فى الطبيعة ، و يدرك بالحس الانسانى ، و من هنا ربط السيد جمال الدين الأفغانى بين إلحاد السيد أحمد خان و مذهبه الدهرى أو الطبيعى مع بقاء انتسابه إلى الاسلام ، و نعته بالالحاد رغم ما كان يكرره من القول من أنه يدافع عن الاسلام . و أنه يبغى أن يوجد طريقاً للمسلم المعاصر يوفق فيه بين اسلامه و تقبله الحياة العصرية التى قامت على إثر نهضة العلم الطبيعى » (٢)

---

١ ـ سماه « تفسير القرآن و هو الهدى و الفرقان » كتبه فى اردو فى ستة مجلدات ، و قد وصل فيه إلى تفسير سورة النحل .

٢ ـ ص ١٥ ـ ١٦

و قد كان هذا الاتجاه المادى المتطرف و الاسراف فى تمجيد العقل و المبالغة فى سلطانه و حدوده ، و إخضاع إرادة الله و قدرته و كتابه لقوانين الطبيعة و قوانين هـذا العالم ، و الجراءة على التفسير و تأويل معانى القرآن ، تأويلا جريئاً قد فتح بابا واسعاً للفتنة و التحريف و الإلحاد فى آيات الله و الفوضى فى الدين و العقيدة التى انتشرت فى العصر الأخير (١)

جوانب الضعف فى

فكرة السيد أحمدخان : اتسمت خطة السيد أحمد خان التعليمية بسمتين تقاصرت بسببهما عن أن تكون الثورة المنشودة التى تشتد إليها حاجة العالم الاسلامى ، و عملا ايجابياً بناءاً يلائم وضع هذا المجتمع القائم على أساس العقيدة و الايمان ، و الرسالة المحمدية، و يملأ الفراغ الهائل الواقع العالم فى الاسلامى كله .

أولا أنه لم يفكر فى إخضاع هذا النظام التعليمى الذى أخذ شكله النهائى فى البيئة الغربية ، لطبيعة هذا المجتمع الاسلامى الهندى الذى كان يريد تطبيقه فيه ، و حاجاته و أوضاعه ، و لم يفكر

---

١ - قد يفهم القارى من كتاب « الفكر الاسلامى الحديث » للدكتور محمد البهى (ص ١٧) أن المذهب القاديانى انبثق من الحركة التجديدية الدينية التى قام بها السيد احمد خان و ليس الأمر كذلك فان السيد احمد أنكر على مؤسس القاديانية ادعاء النبوة و عارضه، إن قصارى الأمر أن الجو الذى هيأه السيد احمد خان قد ساعد فى انتشار هذا المذهب و قبول آراء صاحبه المتطرفة و قد كان خليفة القاديانى و عقله الأول نور الدين الحكيم من كبار المعجبين بمدرسة السيد احمد خان فى التفسير و التأويل .

فى سبكه سبكا جديداً اسلامياً هنديا ، و لم يفصله عن الحضارة الغربية و روحها المادية التى لا لزوم لها فى بلد اسلامى شرقى بل انه استورد هذا النظام من الغرب بتفاصيله و خصائصه و روحه و طبيعته ، و مع الحضارة التى تكتنفه ، و ألح على كلا الجزئين — المنهاج التعليمى ، و الحضارة الغربية — إلحاحا شديداً بل شرط — فى قانون الكلية — أن يكون العميد دائما انجليزيا و أستاذان — على الأقل — من الانجليز ، و مدير الثانوية من الانجليز ، و يزاد فى هذا العدد كلما اتسعت له ميزانية الكلية (١) .

و هكذا كان فلم يزل أربعة أو خمسة من الأساتذة الكبار من الانجليز يتولون التدريس فى أقسام مختلفة و يشرفون عليها ، و كان لهم تأثير شديد عميق فى نظام الكلية ، و أخلاق الطلبة حتى استطاعوا — بنفوذهم — أن يلعبوا دوراً مهما فى سياسة البلاد ، و قد كان عميد الكلية المستر ثيودربك — الداهية الانجليزى — صاحب التوجيه الأول فى السياسة الاسلامية الهندية، و قيادة الرأى ، و قد كان لهذا التوجيه عواقب و خيمة فى السياسة ، و اتجاه المسلمين السياسى (٢) .

و هكذا اقترنت دعوة السيد أحمد خان التعليمية بالدعوة إلى الحضارة الغربية من غير لزوم و حاجة إلى ذلك ، فحامت

١ - حياة جاويد (سيرة سيد احمد خان) لصديقه الأستاذ ألطاف حسين حالى ص ٢٨٢

٢ - إقرأ فصل « الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند » فى كتاب « المسلمون فى الهند » للمؤلف .

حولها الشبهات و اكتنفتها أجواء من السخط و الإستياء ، و أثارت انكاراً شديداً فى الأوساط الدينية ، و رافقتها — منذ نشوءها — دعوة إلى مقاطعة هذه الحركة و الابتعاد عنها ، خلقت مشكلات كثيرة فى سبيلها ، و عارضها علماء الدين الذين لم يكونوا يعارضون تدريس اللغة الانجليزية و العلوم المفيدة ، لما اقترن بها و رافقها من أول يومها ، من الخضوع للحضارة الغربية و قيمها ، و التأثير فى الأخلاق و العقائد ، و بسبب سيطرة الأساتذة و رجال الادارة الانجليز و نفودهم فى هذه المؤسسة الوليدة ، و فى عقول الشباب المسلمين — الذين ينتمون إلى أكرم الأسر الاسلامية و أذكاها — و فى أخلاقهم . و قد نشأ — بفعل هذه المؤثرات و بتأثير الجو الغربى الذى يسود فى هذا المعهد — جيل مثقف اسلامى الاسم غربى التفكير ، إنجليزى الطراز ، مضطرب العقيدة ، يعيش فى عزلة عن المجتمع بعيداً عن أحاسيسه و مشاعره ، مختلفاً عنه فى مستوى المعيشة ، و يخلق مشكلة جديدة فى البيوتات و فى المجتمع الاسلامى ، و لا ينسجم معه انسجاما كلياً .

و السمة الثانية أنه تمسك فى هذا النظام التعليمى بتعاليم اللغة و الآداب فقط ، و لم يعن بتعاليم الفنون و العلوم التطبيقية العملية العناية التى تستحقها مع أنها هى ثمرة العلم الجديد اليانعة ، و سر قوة الأمم الغربية و سيادتها ، و هى التى يجب أن

تستفاد من الغرب و يحرص على دراستها و البراعــة فيها ، بل أنه ــ سامحـه الله ــ عارض فى بعض الأحيان تعليم الصنائع و العلوم معارضة شديدة ، و كتب فى هذا الموضوع مقالات شديدة اللهجة ، مريرة النقد ، آخرها المقال الذى نشرته مجلة « عليكره كزت » (Aligarh Gazette) فى عددها الصادر يوم ١٩ فبرائر سنة ١٨٩٨ م يقول فيه : « إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنــة ليست فى حاجة إلى تعليم الصنائع ، إن الأهم المقدم هو الثقـافة الفكرية من المستوى الأعلى التى لم تتحقق أو لم تكمل بعــد » و قد تخوف السيد أحمد خان بما كان يقرأ لكبار الانجليز من الحث على دراسة العلوم الصناعية أن الانجليز يريدون وقف التعليم العالى أو تعليم الآداب الغربيـة ، فكان يحارب هذه الفكرة بكل قوته و بلاغتــه ، و قــد ألقى محاضرة طويلة فى حفلة مؤتمر التعليم الاسلامى الخامسة فى هذا الموضوع ، و عارض أن يكون مشروع تعليم العلوم الصناعيـــة على حساب تعليم الآداب الانجليزية و الدراسات الأدبية ، و قد عرض هذا المشروع مراراً و بحث فيه فى لجان جامعة إله آباد ، و كان السيد أحمد خان من كبار خصومه و معارضيه (١) .

و كانت نتيجة ذلك أن الجامعة الاسلاميـة اتجهت اتجاهـا علمياً أدبياً محضاً ، و سيطرت عليه نزعــة التقليد و التطور ، و

---

١ ـ حياة جاويد ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ .

نزعة التوسع فى الآداب و خرجت عدداً لا يستهان به من الخطباء و الأدباء و الاداريين و القضاة و الموظفين الكبار ، و لم تخرج — بطبيعة الحال — رجالا مبرزين و مبتكرين فى علوم الهندسة و الميكانيكا ، و الطبيعة و الكيمياء و الصناعات المفيدة ، العلوم التى كان الشعب الاسلامى الهندى فى فقر شديد فيها ، و كان ذلك من أسباب تخلفه و اقتصاره على الوظائف الحكومية و المراكز الإدارية المحدودة دائماً .

محصول هذه الحركة و انتاجها :

و على كل فقد آتت هذه الدعوة التعليمية — التى تزعمها السيد أحمد خان بقوة و إخلاص — ثمراتها ، و ملأت الفراغ الثقافى و الاقتصادى الواقع فى المجتمع الاسلامى الهندى ، بعد استقرار الحكم الانجليزى فى الهند ، و عالج — إلى مدى محدود — القلق و اليأس المسيطرين على نفوسهم ، و تخرج فى هذه الجامعة بعض خيرة الشباب و قادة الفكر ، و الزعماء السياسيين و أدباء كبار ، و شخصيات قوية قادت حركة « الخلافة » (١) وحركة التحرير فى الهند وساهمت فى قيام دولة باكستان و إدارتها بعد ، و لكنها — على ما لها من فضل فى ثقافة المسلمين الجديدة و فى حالتهم الاقتصادية — لم تحقق

---

١ - هى حركة تائيد الحكومة العثمانية فى قضاياها الاسلامية و معارضة الحلفاء و كانت من اقوى حركات الهند الاسلامية السياسية .

الغرض المطلوب من الاستفادة بتجارب الغرب و تكييفها للمجتمع الاسلامى و ظروفه ، و لم تملأ الفراغ الواقع الهائل ، فراغ الجيل الاسلامى الجديد ، الراسخ فى عقيدته ، القوى فى إيمانه ، العارف لرسالته و دوره فى قيادة المدنية ، الواسع فى ثقافته ، المرن فى تفكيره ، الآخذ من الثقافة الجديدة محاسنها و لبابها ، المتجنب عن شرورها و قشورها ، الأصيل فى إنتاجه ، الجيل المرتقب الذى كان يتطلع إليه العالم الاسلامى — و لا يزال — فى لهف شديد و صبر نافد ، الجيل الذى كان يستطيع بتوفيق الله تعالى أن ينقذ العالم الاسلامى من الحيرة التى كان يتورط فيها ، و من الضعف الذى قد تسلط عليه ، و يمنحه مركزاً رئيسياً فى قيادة الأمم ، و توجيه المدنية .

أكبر الالهآبادى

الشاعر الثائر : وقد حارب هذه النزعة التطبيقية التقليدية - التى يقودها السيد أحمد خان - حربا لاهوادة فيها معاصر مثقف ثقافة قديمة و جديدة ، يعتبر من أكبر شعراء عصره ، و هو السيد أكبر حسين (١) الاله آبادى ، المتلقب فى شعره بـ « أكبر »

١ - هو السيد أكبر حسين بن تفضل حسين ، ولد فى سنة ١٢٦٢ﻫ (١٨٤٦ م) فى مديرية الهآباد و تلقى الثقافة الاسلامية و درس اللغة الانجليزية ، و اجتاز فى سنة ١٢٨٤ ﻫ امتحانا فى الحقوق ، و تولى القضاء ، و تنقل فى الوظائف القضائية ، إلى أن أحيل إلى المعاش سنة ١٣٢٠ (١٩٠٣ م) و لقبته الحكومة الانجليزية بلقب « خان بهادر » (يساوى بك فى المجتمع المصرى) و لقبه الشعب الهندى بلقب « لسان العصر » ، نغلب لقب —

و استخدم لنقدها و الانكار على هذا الجيل المثقف الجديد أسلوب الفكاهـــة الحلوة ، و الأدب الخفيف الروح من أبلغ الأساليب الأدبية و اقواها ، و أجملها فى هذا العصر و جعل ذلك موضوع شعره طول حياته ، ينتقد سياسة السيد أحمد خان - الذى يعترف باخلاصه - التعليمية و ما كان يدعو إليـــه من تقليد الغرب و تطبيق مناهج حياته ، و ينتقد الحياة السائدة فى الكلية الاسلامية ، و ما تتسم به من تقليد أعمى للغرب ، و تساهل فى العقيـــدة ، و رقة فى الدين ، و تبذير فى الأموال ، و تأنق فى المظاهر ، و نفور عن الدين و رجاله ، و نهامـــة للحياة ، و تهالك على الوظائف الرسمية ، و تخل عن التراث الشرقى القديم ، و عن تقاليده و مبادئه ، و ثورة عليها ، و اندماج فى المجتمع الغربى الغريب ، و سيطرة التفكير المادى الاقتصادى المحض ، و يصور — بشاعريته الساحرة و ريشته البارعة — الجيل الجديد ، تصويراً دقيقاً ، واضح القسمات و الملامح .

— الشعب لقب الدولة الرسمى .

وكان — رغم ثقافته الحديثة العميقة — ديناً محافظاً سليم العقيدة ، قال فى الليـــلة التى توفى فيها ، « ما فاتتنى فريضة ، و لا غفلت عن حزبى فى الليل ، و لا انصرفت عن تلاوة القرآن طول عمرى » توفى رحمه الله سنـة ١٣٤٠ - ١٩٢١ م ، و من آثاره ثلاثة دواوين شعرية ضخام تلقتها الأوساط الأدبية و الاسلامية بالقبول و الاستحسان ، و شهد له كبار الأدباء و الشعراء — منهم العلامة محمد إقبال — بالاجادة ، و إنه إمام فى الشعر الفكاهى الاصلاحى فى اردو .

وقد انتشر هذا الشعر فى الأوساط الهندية على اختلاف طبقاتها و اتجاهاتها انتشاراً عجيباً ، و تلقفه الأدبا و الكتاب و الشباب و رددوه ترديداً لم يعرف لشعر آخر منذ زمن طويل ، و على نجاح هذا الشعر و تأثيره فى تحريك عاطفة الكراهة والازدراء و التخفيف من غلواء هذه النزعة التقليدية و قيمة هذه الحضارة ، لم يستطع بطبيعة الحال أن يحدث ثورة فى المجتمع و يقف تيار التقليد الجارف ، و يؤسس مجتمعا جديداً لأن الأدب المؤسس على التهكم و التنادر تأثيره و أجله محدودان ، و لكنه لم يخل من الفائدة ، و كان من عوامل الاتجاهات الأدبية الاجتماعية الجديدة فى الهند (١) .

الحركة الوطنية ومقاطعة البضائع الاجنبية : كان هذا الاتجاه التقليدى فى الهند — الذى قاده السيد أحمد خان فى المسلمين و غذته الحكومة الانجليزية و نظام المعارف — فى الطبقة المثقفة ، حراً فى سيره لا يعوقه شئ ، و لا يخفف من حدته إلا هدوء الطبيعة الهندية ، و اعتدالها فى قبول كل جديد ، و تمسكها بالقديم و بالبساطة ، إلا أنه كان جديراً كل الجدارة بأن يكون الاتجاه العام السائد على البلاد على مر الأيام ، و يجعل من الهند الشرقية مجتمعاً غربياً

١ - للمؤلف مقالة مسهبة نشرت فى مجلة الفتح المصرية ، مجلد العام التاسع ١٣٥٤ هـ ، عدد ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، و مجلة « الضياء » الصادرة من لكهنؤ الهند .

فى تفكيره و أساليب حياته ، و فى حضارته و إجتماعه ، و لكن حادثا حال دون ذلك ، و غير اتجاه التاريخ .

حدث ما يضعف سلطان الحكومة الانجليزية — التى تتزعم هذه الحضارة فى الهند — فى النفوس و العقول ، و يثير الشك فى قيمة هذه الحضارة و جدارتها للقيادة و استعدادها للانصاف و تحقيق العدالة الاجتماعية ، و ما يثير السخط الشديد و الكراهة العميقة لزعماء هـذه الحضارة و ممثليها فى الشرق ، و ما يحرك الشعور القوى بالشخصية و بالكرامة فى أهل البلاد ، و يحمل على مقاطعة هذه الحكومة و كل ما يعزى إليها من حضارة و مظاهر و شعائر ، و كل ما يمون حركتها التجارية و الاقتصادية ويغذيها، ذلك نشوب الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ م) و وقوف الحكومة البريطانية - مع حلفائها - الموقف المعادى من الدولة العثمانية التى ينظر إليها المسلمون فى الهند — كغيرهم فى البلاد الاسلامية — كرمز للمجد الاسلامى ، و موئل للخلافة ، وحامية للاسلام ، و لما تمت الهزيمة للاتراك فى ١٩١٨ م ، و استولى الانجليز على الآستانة ، و توزع الحلفاء ممتلكات الدولة العثمانية انفجر بركان الثورة فى الهند ، و تعاون المسلمون و الهندوس فى حركة الخلافة بشكل عام ، و كان غاندى — الزعيم الهندى الشهير — فى جبهة القيادة مع زملائه محمد على وشوكت على و أبى الكلام آزاد و اقترحوا سنة ١٩٢٠ م مقاطعة الحكومة

و الإضراب عن التعاون معها ، فى إدارة الحكومة و جميع مجالات الحياة و مقاطعة البضائع الأجنبية ، فكان أمضى سلاح سلمى استخدمته حركة وطنية ، و انطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد ، تحمل معها الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية و التخلى عن مظاهر الحضارة الأجنبية المستعمرة ، و الظهور فى المظهر الوطنى الشعبى ، و التمسك بالبساطة و التقشف فى الحياة ، و الاقتصار على المنتجات الوطنية ، و كانت أعظم و أعنف حركة شاهدتها البلاد ، و كانت البلاد كلها — من أقصى حدودها إلى أقصى حدودها — شعلة نار ، و قد هزت سيطرة الحضارة الغربية فى أعماق النفوس ، و اقتلعت جذورها و عروقها من قلوب لا يحصيها كثرة إلا الله ، و أشعل الناس النيران فى ملابسهم الغربية ، و القماش الوارد من الخارج — من انجلترا طبعاً — فى جموع حاشدة ، و حفلات كبيرة ، و رفض كبار الأغنياء و المثقفين ، و رجال الطبقة الارستقراطية ، عيشتهم الغربية الباذخة ، و تقشفوا و آثروا الحياة البسيطة الوطنية ، و حدث انقلاب عظيم فى حياة الكثيرين ، من كبار المحامين و التجار و الموسرين ، فقد ملأوا السجون ، و تحملوا المشاق ، و بدا منهم من الايثار ، و الزهد و القناعة ، و قوة العاطفة الدينية ، و الوطنية و المواساة للفقراء و المحافظة على الشعائر الدينية ، ما لم يكن يتوقع من أمثالهم قبل ظهور هذه الحركة .

و تلت هذه الحركة التى كان طابعها دينيا ، الحركة الوطنية الهندية العامة ، التى ترمى إلى تحرير البلاد ، و طرد الاستعماد ، و إقامة الحكم الذاتى ، و كانت — بخلاف كثير من الحركات السياسية فى الشرق — حركة سياسية اجتماعية ذات فلسفة فكرية واقتصادية، فلعبت دورها فى إضعاف سلطان هـذه الحضارة التى جاءت مع المستعمر فى تدعيم الشعور الوطنى ، و ايثار كل ما هو أصيل و عريق فى طبيعته الهندية و بيئته الوطنية ، على المستورد الأجنبى، و لاشك أن هذه الحركات السياسية استطاعت أن تفعل — من محاربة مركب النقص ، و من إثارة الاعتداد بالكرامة والتخلص من الاستعمار الفكرى و الثقافى — ما لا تستطيعه الفلسفات العلمية الكبيرة ، و ذلك شأن الحركات العملية الشعبية ، التى تتغلغل فى أجزاء المجتمع و تسيطر على تفكيره دائماً فى كل بلد .

محمد إقبال و نقده للحضارة الغربية : و قد بدأ الشباب الاسلامى الذكى فى فجر القرن العشرين يتوسعون فى الدراسات الغربية ، و يتعمقون فيها فى الجامعات الهندية الراقية ، و قد زالت عنهم دهشة الفتح و هيبة الانجليز ، و بدأت بعثات ثقافية ترحل إلى أوربا ، و يقيم عدد كبير منهم فى عواصمها إقامة طويلة ، ينهلون من مناهلها الثقافية ، و يدرسون العلوم العصرية بدقة و إتقان ، تحت إشراف أساتذة كبار أحرار ، و يعرفون الحضارة الغربية عن كثب لا عن

كتب ، بل يخوضون فيها ، و يسبرون غورها ، و يعجمون عودها كأى شباب غربى مثقف من أبناء البلد ، و يدرسون الفلسفات و النظم و المدارس الفكرية ، و يطلعون على دخائلها و أسرارها ، و على الطبيعة الغربية المادية ، و النخوة القومية الأوربية ، و الأثره الشعبية فى نفوس هذه الشعوب ، و يرون جوانب الضعف و بوادر الافلاس و طلائع الانهيار فى المجتمع الغربى ، و يلاحظون العناصر الصالحة البناءة ، المسعدة للبشرية ، المفقودة فى تركيب هذه الحضارة ، و فى طبيعة زعمائها و حملة لوائها ، و عناصر الفساد الهدامة المدمرة للدنية ، المضللة للبشرية الموجودة فى عجينها ، المركبة مع طينها من اليوم الأول ، فيثير كل ذلك فى نفوسهم و عقولهم معانى و أحاسيس لم تكن ممكنة إلا مع الاقامة الطويلة فى أوربا ، و التعمق فى فلسفاتها وأفكارها والدراسة المقارنة ، و إلا مع النظر العميق الجرئ ، و التحرر من ربقة التقليد ، وإلا مع الايمان الذى لم يتجردوا عنه ، بل بقى جمرة فى رماد مستعدة للالتهاب فى كل وقت ، فيرجع كثير منهم يائساً من مستقبل الحضارة الغربية ثائراً عليها ، ناقداً نقداً جريئاً عميقاً متزنا ، لاتطرف فيه و لاانكار للواقع و لا مكابرة فى الحقائق .

لقد كان فى مقدمة هؤلاء الناقدين الثائرين محمد إقبال (١)

---

١ - ولد محمد إقبال بن نور محمد فى « سيالكوت » مدينة فى مقاطعة بنجاب سنة ١٨٧٧ م ، انضم إلى كلية الحكومة فى لاهور حيث حضر الامتحان الأخير فى الفلسفة —

الذى يعتبر بحق انبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة التى ظلت تشتغل و تنتج فى العالم الاسلامى من قرن كامل ، و أعمق مفكر أوجده الشرق فى عصرنا الحاضر ، و لم نر من نوابغ الشرق و أذكيائه — على كثرة من أم الغرب منهم و درس هناك — أحداً نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق و انتقدها هذا الانتقاد الجرئ .

إن محمد إقبال قد لاحظ جوانب الضعف الأساسية فى هذه الحضارة و تركيبها ، و الفساد الذى عجنت به طينتها لاتجاهها

— و أخذ درجة ما جستر (M. A.) فى الفلسفة بامتياز ، و عين استاذاً للفلسفة و الانجليزية فى نفس الكلية ، و سافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة كمبردج و أخذ شهادة عالية فى الفلسفة و علم الاقتصاد و سافر إلى ألمانيا و أخذ من جامعة ميونخ الدكتوراة فى الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، و حضر الامتحان النهائى فى الحقوق و انتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد و السياسة فى لندن و تخصص فى المادتين ، و ألقى عدة محاضرات فى مدراس ، و أخرى فى جامعة كمبردج ، و قد اعتنى بهذه المحاضرات المستشرقون و علماء الفلسفة و الدين اعتناءاً عظيما ، و ترجم أكثر كتبه إلى الانكليزية و الفرنسية و الألمانية و الطليانيه و الروسية ، و انتخب رئيساً للرابطة الاسلاميه سنة ١٩٣٠ م و انتخب عضواً فى المجلس التشريعى فى بنجاب ، و عرض فى خطبته فكرة باكستان لأول مرة ، و مثل « مؤتمر المسلمين » فى مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ ، و أقامت له جامعة أرسطو ، جامعة روما ، جامعة السوربون ، و جامعة مجريط و المجمع الملكى فى روما حفلات تكريم ، توفى فى ٢١ ابريل سنة ١٩٣٨ و شيعت جنازته فى حشد كبير قلما شهد مثله ، ورثاه و أبنه كبار الزعماء و قادة الفكر ، و رؤساء الحكومات ، له سبعة دواوين فى الفارسية ، و ثلاثة فى اردو ، و و محاضرات فى الانجليزية .

المادى ، و ثورة أصحابها على الديانات ، و القيم الخلقية و الروحية عند نهضتها ، و علل فساد القلب و الفكر الذى اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة (١) ، » و قد جردها تلوث الروح عن الضمير الطاهر ، و الفكر السامى و الذوق السليم ، و تسلط عليها — رغم المدنية الباذخة ، و الحكومات الواسعة ، و التجارة الرابحة — القلق الدائم ، لقد أظلم الجو فى عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ، ولكن بيئتها — على كثرة أنوارها — غير متهيأة لفتح جديد فى الفكر و إشراق من عالم الغيب ، إنها حضارة شابة — بحداثة سنها ، و الحيوية الكامنة فيها — و لكنها محتضرة تعانى سكرات الموت ، و إن لم تمت حتف أنفها فستنتحر و تقتل نفسها بخنجرها ، و لا غرابة فى ذلك فان كل و كر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، و لا يستغرب أن يرث تراثها الدينى و يدير كنائسها اليهود (٢) ، إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، و جدرانها من زجاج لا تحتمل صدمة (٣) ، ان الفكر المارد الذى أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بجموحه يهدد وكر الغربيين و مهدهم ، إن العصر يتمخض عن عالم جديد ، و

١ - ضرب كليم ص ٦٩ .
٢ - ايضاً ص ١٤١ يشير إلى نفوذهم الزائد وثقة أوربا النصرانية بهم .
٣ - بال جبريل .

ان العالم القديم الذى حوله الغربيون مكان القمار (الذى كان يقامر فيه بأ من العالم و كرامة الأمم) يلفظ نفسه ، إن نور هذه الحضارة باهر ، و شعلة حياتها ملتهبة وهاجة ، و لكن لم يكن فى ربوعها من يمثل دور موسى فيتاق الالهام ، و يتشرف بالكلام ، و لا من يمثل دور إبراهيم فيحطم الأصنام و يحول النار إلى برد و سلام (١) ، إن عقلها الجرئ يغير على ثروة الحب وينمو على حساب العاطفة (٢) ، إن عماليقها و ثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون — حتى فى ابتكارهم و ثورتهم — عن الطريق المرسوم و الدائرة المحدودة »

« لقد تضخم العلم و تقدمت الصناعة فى أوربا ، و لكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس فى جمال البناء ، و حسن المظهر و النظافة ، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد و يخسر ملايين ، إن هذا العلم و الحكمة و السياسة و الحكومة التى تتبجح به أوربا ليست إلا مظاهر جوفاء ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب و يلقون درس المساواة الانسانية و العدالة الاجتماعيـــة ، إن البطالة و العرى و شرب الخمر و الفقر هى فتوح المدنية الأفرنجية ، إن الأمة التى لا نصيب لها فى التوجيه السماوى و التنزيل الالهى غاية

---

١ ـ پیام مشرق ، ص ٢٤٨ يعنى أن أوربا لم تكن أرض النبوة و الانبياء من الزمن القديم و لم يكن فيها اشراق روحانى إنما ازدهرت فيها الماديات . (٢) ايضاً .

نبوغها تسخير الكهرباء و البخار ، إن المدنية التى تتحكم فيها الآلات ، و تسيطر فيها الصناعة تموت فيها القلوب ، و يقتل فيها الحنان و الوفاء ، و المعانى الانسانية الكريمة (١) »

و قد كان انتقاده و استعراضه للحضارة الغربية و أسسها و مناهج تفكيرها فى محاضراته العلميـة التى ألقاها فى مدراس و نشرت بعنوان « تجديد الفكر الدينى فى الاسلام (٢) » أعمق و أكثر تركيزاً بطبعية الحال ، لأن جو البحوث الفلسفية غير جو الشعر و الأدب ، فقال وهو يتحدث عن طبيعة الحضارة المادية فى الغرب و الانسان المعاصر الذى يمثلها و يتزعمها ، و عن الأزمة و المشكلات التى يعانيها :

« الرجل العصرى بماله من فلسفات نقدية ، و تخصص علمى يجد نفسه فى ورطة ، فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة ، لم يسبق إليه ، لكنه قد سلبه إيمانه فى مصيره هو(٣) »

« الانسان العصرى و قد أعشاه نشاطه العقلى ، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة ، أى إلى حياة روحية تتغلغل فى أعماق النفس ، و هو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه ، و هو فى مضمار الحياة الاقتصادية و السياسية فى

---

١ ـ بال جبريل .

2 - Reconstruction of Islamic Thought in Islam.

٣ ـ المصدر المذكور ترجمة عباس محمود ص ٢١٤ .

كفاح صريح مع غيره ، و هو يجد نفســه غير قادر على كبح أثرته الجارفة ، و حبه للمــال حباً طاغياً ، يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئاً فشيئاً ، و لا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ، و قد استغرق فى « الواقع » أى فى مصدر الحس الظاهر للعيان ، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، تلك الأعماق التى لم يسبر غورها بعد ، و أخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية ، هى ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه ، و الذى أدركه هكسلى (Huxley) و أعلن سخطه عليه (١) »

« و الاشتراكية الملحدة الحديثـــة — و لها كل ما للدين الجديد من حمية و حرارة — لها نظرة أوسع أفقاً لكنهـا قــد استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب هيجل (Hegel) و قــد أعلنت العصبيات على ذات المصدر الذى كان يمكن أن يمدها بالقوة و الهدف ، و هى « إذن ليست » بقادرة على أن تشفى علل الانسانية (٢) »

و محمد إقبال يصف هــذا المجتمع — الأوربى — بمجتمع يحركه تنافس وحشى و هـــذه الحضارة بحضارة فقدت وحدتهـا الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينيــة ، و القيم السياسية (٣) .

---

١ - المصدر السابق ص ٢١٥ — ٢١٦ .

٢ - ايضاً ص ٢١٦ — ٢١٧ . (٣) ايضاً ص ٢١٧ .

و ينظر محمد إقبال — ككل مطلع خبير — إلى الرأسمالية و الشيوعية كفرعين من دوحة المادية و أسرتين للحضارة الغربية ، إحداهما شرقية ، و الأخرى غربية ، تلتقيان على النسب المادى ، و التفكير المادى ، و النظر المحدود إلى الانسان ، و يقول بلسان السيد جمال الدين الأفغانى — فى رحلة فكرية تخيلها و اجتمع به فيها — « إن الغربيين فقدوا القيم الروحية و الحقائق الغيبية ، و ذهبوا يبحثون عن الروح فى « المعدة » إن الروح ليست قوتها و حياتها من الجسم و لكن الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة و البطن » و ديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون ، إن الأخوة الانسانية لا تقوم على وحدة الأجسام و البطون ، إنما تقوم على محبة القلوب ، و ألفة النفوس (١) »

« إن الملوكية و الشيوعية تلتقيان على الشره و النهامة ، و القلق و السآمة ، و الجهل بالله و الخداع للانسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج » و عند الملوكية « خراج » و الانسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج ، إن الشيوعية تقضى على العلم و الدين و الفن ، و الملوكية تنزع الروح من أجسام الأحياء وتسلب القوت من أيدى العاملين والفقراء ، لقد رأيت كلتيهما غارقتين فى المادة ، جسمهما قوى ناضر ، و قلبهما مظلم فاجر (٢) »

---

١ - جاويد نامه ، ماخوذ من « روائع اقبال » للمؤلف ، ص ١١٣ — ١١٤
٢ - ايضاً .

الحضارة الغربية
والاقطار الاسلامية : و يعتقد محمد إقبال أن هذه الحضارة غير قادرة على إسعاد البلاد الاسلامية ، و إعادة الحياة إليها ، يقول :
« إن الحضارة التى قد أشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيى غيرها (١) ، و قد جزت من إحسان هذه البلاد الشرقية إساءة من جانبها ، و كافأت خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبياً(٢) رسالته العفة و المواساة و الرحمة ، و مقابلة الشر بالخير ، والظلم بالعفو ، و قد منحته أوربا — بدورها و مقابل كل ذلك — الخمر و القمار ، و الفجور و هجوم المؤمسات (٣) »
نقده لدعاة التجديد
فى الشرق : إنه يسيئ الظن بدعاة التجديد — و بالأصح التغريب — فى الأقطار الاسلامية ، و يخشى أن تكون الدعوة إلى التجديد حيلة و ستاراً لتقليد الأفرنج (٤) ، يقول : « إننى يائس من زعماء التجديد فى الشرق ، فقد حضروا فى نادى الشرق بأكواب فارغة ، و بضاعة مزجاة فى العلم و الفكر »
« إن البحث عن « برق جديد » فى هذا السحاب عبث و إضاعة وقت ، فقد تجرد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم ،

١ - ضرب كليم ص ٦٨ .
٢ - يشير إلى سيدنا عيسى عليه السلام .
٣ - ضرب كليم ص ١٥٠
٤ - ايضاً ص ١٧٠ .

فضلا عن البرق الجديد (١) »

إنه يعارض التقليد الأعمى فى أمــة من الأمم ، و لا سيما الأمــة التى خلقت لقيادة الأمم و إحداث الثورة فى العالم ، و يقول : « إن الذى يأتى بالجديد فى هذا العــالم الذى يتجدد دائماً هو نقطــة الدائرة التى يطوف حولها الزمان ، لا تعطل شخصيتك — أيهــا المسلم — بالتقليد الأعمى ، و احتفظ بكرامتك فانها الجوهر الفرد ، إن التجديد (بمعنى التغريب) لا يليق إلا بأمة لا تفكر إلا فى الدعة و الترف (٢) »

إنه يعاتب الأمم الشرقية الاسلامية التى كانت دورها دور التوجيه و القيادة ، و أصبحت تمثل دور التلمذة الخاشعــة ، و و التقليــد الذليل ، يقول — و كأنه يشير إلى الشعب التركى الاسلامى و من كان على شاكلتــه — إن أولئك الذين كانوا يستطيعون أن يقودوا عصرهم أصبحوا بسخافتهم يقلدونه و يمشون وراءه (٣) »

إيمانه بفضل الحضارة

الاسلامية و حيويتها : إنه شديد الايمان بمــا تضمره الحضــارة الاسلامية و الشريعة الاسلامية من حيوية خالدة و قوة دافقة ،

---

١ - ضرب كليم ص ٦٩ ، يشير إلى أن هولاء المصلحين ثقافتهم القديمــة و و ثقافتهم الجديدة ضعيفتان محدودتان ، ليس لهم فى إحداهما كعب عال و لا باع طويل

٢ - ضرب كليم ١٧٠ . ٣ - بال جبريل .

و إمكانيات واسعة لتكوين عالم جديد ، و تأسيس مجتمع جديد، يقول فى خطبته التى ألقاها رئيساً لمؤتمر الأحزاب الاسلامية فى دهلى سنة ١٩٣٣ م مخاطباً للمسلمين .

« إن الدين الذى تحملون رأيته يقرر قيمة الفرد ، و يربيه تربية تجعله يبذل كل ما عنده فى سبيل الله ، و فى صالح عباده إن مضمرات هذا الدين القيم و كوامنه لم تنته بعد ، إن فى استطاعته أن يوجد عالماً جديداً يجبي فيه الفقراء الأغنياء لا يقوم فيه المجتمع البشرى على مساواة البطون ، بل يقوم على مساواة الأرواح »

المعمل الاسلامى الجديد : و لذلك كان يعتقد — بكل إخلاص و حماسة — أنه لابد من وجود رقعة حرة تقوم فيها عملية الحياة الاسلامية ، بجميع نواحيها و شعبها ، و تتجلى فيها عبقرية الشريعة الاسلامية ، و عدل النظام الاسلامى ، و تستطيع فيها الطريقة الاسلامية فى الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً ، و لما كانت الهند — كما قال فى خطبة رئاسته للعصبة الاسلامية سنة ١٩٣٠ م — قطراً تسكن فيه جالية تكون أكبر مجموعة إسلامية فى بلد واحد ، كانت أحق بتقديم هذه التجربة و بتكوين هذا المركز الاسلامى و بتعبير أدق المعمل الذى يثبت فيه الاسلام صلاحيته لتكوين المجتمع الصالح ، و تنظيم الحياة الاجتماعية ، و حل المشكلات الاقتصادية ، و توجيه المدنية توجيهاً صالحاً ،

و التطبيق بين العقيدة و العمل و الروح و المادة ، و الفرد و الجماعة تطبيقاً يثير العجب و الإعجاب ، و يحمل قادة الأقطار الاسلامية على التقليد و يحمل المفكرين فى العالم على التفكير من أسلوب جديد .

كان هذا النظار البعيد ، و هذا الطموح الذى لم يعرف نظيره فى العالم الاسلامى ، أساس مملكة باكستان ، و قد تحقق هذا الحلم البعيد فى سنة ١٩٤٧ م و قامت دولة باكستان ، وقد اعترف الزعيم محمد على جناح بهذا الأساس الفكرى الذى قرره محمد إقبال و تغنى به . فقال فى أول خطبة خطبها بعد قيام باكستان :

« لقد أصبحت باكستان التى كافحنا فى سبيلها عشر سنين كوامل حقيقة ملموسة ، و لكن يجب أن لا ننسى أن قيام مملكتنا الحرة ليست غاية ، إنما هى وسيلة ، إن الغاية و الهدف النهائى قيام مملكة نعيش فيها أحراراً ، و نتقدم بها وفق طبيعتنا الخاصة و ثقافتنا ، و تنفذ فيها مبادئ العدالة الاجتماعية فى الاسلام بحرية »

و لكن هذه العملية — التى لا تساويها عملية فى الضخامة و الدقة و الخطورة و بعد النتائج — لا تقوم و لاتتحقق إلا على أيدى القادة الذين يؤمنون بخلود الشريعة الاسلامية وفضل الحضارة الاسلامية إيمانا لايشوبه شك ، و يخلصون لها إخلاصاً لا يشوبه نفاق ، و يتحررون من ربقة الحضارة الغربية ، و الايمان بقيمها و أسسها ،

و من رق الثقافة الأجنبية تحرراً كاملا ، و يجمعون — على الأقل — بين الايمان الراسخ و الشجاعة الخلقية ، و المقدرة على استخدام الوسائل و الطاقات التى أحدثتها العلوم الحديثة ، و تكييفها للمجتمع الاسلامى الحر .

العملية فى الامتحان : و لكن هذه العملية — التى قفزت إلى الوجود لأسباب تاريخية و سياسية و فاجأت العالم المعاصر — لم تجد فرصة تهيئة هذا الجيل و إعداد هذه القيادة ، و قد عجز نظام المعارف الغربى السائد فى الأقطار الشرقية ، وعجزت الجامعات الغربية التى تاقى فيها هولاء السادة ثقافتهم عن أن تنتج أحسن منهم فى عامة الأحوال ، و عن أن تنتج غير هذا الطراز من التفكير ، و غير هذا الأسلوب من الحياة . و الشجرة لاتلام على ثمرتها الطبعية ، و لا يرجى تغيير هذا الوضع ، و وجود القيادة التى تحقق هذه العملية حتى يغير نظام المعارف و نظام التثقيف و التربية فى هذه البلاد ، و يمنح الاسلام و المجتمع الاسلامى حق تخريج و اختيار من يتولى قيادته و يقرر مصيره مطابقاً لعقيدته و فطرته ، و آماله و حاجاته ، و هو حق طبعى لكل شعب و لكل مجتمع ، لا يجوز جحوده فى أىعصر و فى أى مكان .

أهمية الدور الذى تمثله مصر فى العالم الاسلامى : وكانت مصر — منذ عهد الخديو محمد على باشا و جلاء الفرنسيين — فى ١٧٩٩ م المجال الثالث الرئيسى

الذى ظهر فيـــه صراع الشرق و الغرب ، الفكرى و الثقـافى و الحضارى و الاجتماعى فى أبرز مظاهره و أقواهـا ، فقد بذرت الحملة الفرنسية و بقاء إدارتها و قيادتها للأمور مدة (١) — قصيرة بحساب الشهور ، طويلة بحساب التأثير و النفوذ — بذوراً عميقـــة فى التربة المصرية ، و العقلية الاسلامية العربية ، و احتك الشرق بالغرب فى أرض مصر احتكاكا مباشراً ، و وصل — بين الشرق و الغرب — بعثات علمية و ثقافية عنى بإرسالها الخديو للاستفادة من الغرب و نظمه و علومه ، و للتقدم بمصر فى مضمار العلم و الصناعة و الفنون و الإدارة ، حملت إلى مصر ثمرات الثقافة الغربية ، ثم انشئت ترعة السويس — فى عهد إسماعيل — تصل بين البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسط فتحدث انقلابا فى تاريخ السياسة و التجارة العالمـــية ، و ترفع الفجوة بين العالمين الغربى و الشرقى و تسهل مهمة اللقاء و الالتقاء .

و كانت مصر بخصائصها الكثيرة التى لايشاركها فيهـا أحد جديرة بأن تكون متلقى يلتقى فيه ما فاقت فيـه أوربا — بجهدهـا و كفاحها — من العلوم التطبيقية ، و الوسائل الحديثـــة ، و ما خص الله به الشرق الاسلامى من علم و يقين و أسس صالحـــة خالدة للحياة السعيدة ، ومحركات و دوافع قوية نبيلة لا تنبثق إلا من العقيدة القوية و القلب الفائض بالايمـان و الحب ، و كانت

---

١ - و هى مدة سبعة أشهر ٢٤ يوليو ١٧٩٨ م - ١٠ فبراير ١٧٩٩ م .

مصر من أوفر البلاد نصيباً من هذه الثروة الكريمة و من أقدرها على توسيعها و توزيعها بفضل غناها فى اللغة العربية و العلوم الدينية ، و وسائل الطبع و النشر ، و وجود الأزهر أكبر مركز ثقافى دينى فى العالم الاسلامى ، و بفضل مرونة العقل المصرى ، و قدرته القديمة على الأخذ والإعطاء ، والتأثر و التأثير ، و كانت جديرة بأن تضرب مثلا صالحاً للعالم الاسلامى وللاقطار الشرقية للتبادل الحر الشريف المؤسس على الشعور بالكرامة و الثقة بالشخصية ، و التمسك بالعقيدة فى جانب و روح السماحة و الانصاف ، و تقدير العلم و الحكمة ، و الترحيب بالصالح النافع فى جانب آخر ، التبادل الذى لايخسر فيه الميزان ولايطفف فيه الكيل .

الحاجة إلى قناة جديدة : لقد كان لمصر أن تنشئ قناة أفضل من قناة السويس ألف مرة ، و أعود منها على الشعوب الانسانية بالخير و السعادة ، و أعمق منها تأثيراً فى اتجاه العالم و مصير الشعوب و الأمم ، و أوسع تاثيراً فى التاريخ الانسانى ، هى قناة التعارف الصحيح المتبادل المتوازن بين الشرق و الغرب ، قناة تصل الشرق المتخلف فى العلوم الطبعية و الصناعات المفيدة بالغرب الذى قد بلغ الذروة فيها ، و تصل الغرب الحائر المتخم بقوته المادية ، المفلس فى الروح و الأخلاق ، اليائس المتشائم ، السالك فى سبيل الانتحار بمنابع الرضا و الهدوء و الأمن العاطفى ،

و الثقة المتبادلة و الأمل القوى فى مستقبل الانسان ، الكامنة فى رسالات الشرق الدينية و الروحية التى يمثلها الاسلام فى شكلها الكامل النهائى . و تصل وسائل الغرب الهائلة الجبارة المكدسة التى لاتعرف غاية بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التى لاتملك وسيلة ، تصل الغرب الذى يستطيع و لا يريد ، بالشرق الذى يريد و لا يستطيع ، فيفيض كل واحد منهما على الآخر أفضل ما عنده ، و يتعاونان — تعاون الشقيقين — فى إسعاد البشرية ، و تهذيب المدنية ، هذه القناة الثقافية العقلية التى تعتبر — لو تحققت و ظهرت إلى الوجود — فتحاً جديداً فى العالم ، و مأثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرف فى التاريخ الحديث ، و تكسب لمصر الزعامة الخالدة ، و أشرف مركز تطمح إليه القلوب والأبصار .

لقد كانت مصر جديرة باحتلال هذا المركز الخطير ، وتمثيل هذا الدور العظيم ، لو تهيأ لها — فى أول عهدها بالحضارة الغربية و الثقافة الأجنبية — إيمان قوى بخلود الرسالة الدينية التى أكرمها الله بها بالاسلام ، و شدة حاجة الانسانية إليها ، و العزم الصميم على الاخلاص لها ، و الاتصاف بصفاتها ، و التفانى فى سبيلها ، و الهضم الصحيح القوى للعلوم العصرية ، و تقوية نفسها بها و إخضاعها للدور الذى يجب أن تمثله فى العالم المعاصر ، و تهيأت لها شخصيات موجهة قوية .

موقف مصر التقليدى الضعيف : و لكن الظروف و الأوضاع السياسية والتعلمية قد صرفت مصر — زعيمة العالم العربى الاسلامى — عن تمثيل هذا الدور العظيم ، دور القيادة و التوجيه ، و دور التأثير فى العالم الغربى . و جعلتها تقف من العالم الغربى موقف التلميذ ، و موقف المقلد المقتبس ، و جعلت مهمة هذه القناة الثقافية الفكرية مقصورة على الإستيراد فقط ، استيراداً لا تتجلى فيه شخصية مصر الاسلامية العربية و العقلية الناضجة الناقدة .

من أهم هذه الأوضاع التى اتجهت بها مصر هذا الاتجاه الضعيف الذى أساءت به مصر إلى نفسها ، و إلى العالم العربى الذى تولت زعامته و قيادته ، الوضع السياسى القاتم الذى كانت تعيش فيه مصر فى القرن التاسع عشر ، و يشاركها فيه العالم الاسلامى بصفة عامة ، عصر النفوذ الأجنبى و الاحتلال البريطانى الاحتلال المباشر ، أو غير المباشر ، فقد شغل هذا الوضع — الغير الطبيعى — تفكير قادة الفكر فى العالم الاسلامى ، و استنفد جهودهم و مواهبهم ، و لم يدع لهم مجالا فى التفكير و لا سعة فى الوقت ، و لا فضلا فى الذكاء .

السيد جمال الدين الافغانى و انقطاعه إلى السياسة : كان السيد جمال الدين الأفغانى ، أنبغ عقلية و أقوى شخصية عرفت الغرب دراسة و سياحة ،

و ثقافة و سياسة ، و أقدر نوابغ الشرق على مواجهة حضارة الغرب و فلسفاته المادية و نقدها ، و صيانة الشرق من سيطرتها و سلطانها الفكرى ، و منعه من الانحراف الذى تفقده شخصيته و رسالته ، و كتابه الصغير الذى وضعه فى الرد على الدهريين ، يدل على سعة دراسته و عمق تفكيره و قوة شخصيته ، و لم يكن الدكتور محمد إقبال مبالغاً إذ قال :

« إن جمال الدين كان انسانا له نظرة عميقة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، و الحياة الاسلامية ، لذلك لو ركز قوته الذهنية فى خدمة الاسلام كنظام للتوجيه الانسانى والحياة الاعتقادية للانسان ، لوجد العالم الاسلامى اليوم على أساس أقوى بكثير (١) »

و لكن وضع العالم الاسلامى بصفة عامة و وضع مصر — التى قضى فيها جمال الدين أفضل أيام حياته و أكثرها انتاجا، و اتخذها مركز نشاطه العقلى — و الطبيعة التى خلقه الله عليها من الذهن الوقاد و الذكاء الحاد ، و الحمية الاسلامية الثائرة ، و الأنفة الأفغانية المتهيجة ، كل ذلك منع جمال الدين عن التفكير فى غير إنهاض البلاد الاسلامية سياسة و تنظيما ، و إعادة الكرامة و القوة إليها ، و الربط بين أجزائها ، و إقصاء النفوذ الأجنبى عامة و النفوذ البريطانى — الذى اكتوى بناره فى بلاده و فى الهند و إيران و فى مصر — خاصة ، وطبع نشاطه و كفاحه

1 — The Modern Trends in Islam. P. 28-29.

بطابع السياسة ، و أصاب الدكتور محمد البهى إذ قال :

« (كان جمال الدين) ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب و من تاريخ الأمة الاسلامية نفسها ، كما ينتزع الشواهد المحسوسة التى تفزع المسلمين من السياسة الاستعمارية فى البلاد الاسلامية (فى الهند و مصر على الخصوص) هذه الأمثلة التى كان ينتزعها من شواهد الحياة الاسلامية ، و مظاهرها فى وقته ، مع بيان مدى ألاعيب السلطات الأجنبية و دسائسها ، و هدفها الذى نهايته بسط النفوذ الأجنبى لصالح الجماعة الأوربية وحدها على رقعة العالم الاسلامى .

هذا الاحتكاك المباشر نفسه هو الذى أظهر حركة جمال الدين الأفغانى فى صورة حركة سياسية ، و هو نفسه السبب فى أن يلقى بمركز الثقل فى نشاطه على « الحرية السياسية » فى الشرق الاسلامى ، للمواطنين جميعاً مسلمين و مسيحيين (١) »

و خير من يحق له التعبير عن نفسية السيد جمال الدين و تلخيص دعوته هو تلميذه الشيخ محمد عبده ، و هو يقول :

« أما مقصده السياسى الذى قد وجه إليه كل أفكاره و أخذ على نفسه السعى إليه مدة حياته — و كل ما أصابه من البلاء أصابه فى سبيله — فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها و تنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، و الدولة بالدول

١ ـ الفكر الاسلامى الحديث ص ٥٠

القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، و للدين الحنيفى مجـده ، و يدخل فى هـذا تقايص ظل بريطانيا فى الأقطار الشرقية (١) »

فضـل حركة السـيد جمال الدين و مدرسته : لم تـكن هذه الغاية الجسيمة و الأوضاع السياسية الجاثمة على الشرق لتدع لمثل السيد جمال الدين الأفغانى — فى قوة عاطفته و حساسيته — حقلا آخر للنشاط و الانتاج ، و تدع يعمل عمـلا ايجابياً بنـاءاً فى المجتمع الاسلامى ، و يقوم بدراسة عميقة تحليلية للحضارة الغربية ، و ما يحسن اقتباسه منها و مالايحسن ، و بناء فـكر اسلامى جديد يسـاثر الزمان و يتغاب على نزعة تقليد الغرب .

و لـكن دوره عظيم جداً فى رفع قيمـة الدين و التمسك بالاسلام ، و الاعتماد على القرآن فى عيون النشء الجديد ، و فى إعادة الثقة بصلاحيـة الاسلام لكل زمان و مكان ، إلى نفوس الشباب المثقف ، يستحق به أن يعتبر أبا الجيل الاسلامى الجديد ، و عظمته فى أنه حال بين الطبقة المثقفة الذكية فى مصر و غيرها ، و بين الالحاد والثورة على الدين ، و أخر أو بطاء سير النزعـة العلمانية تغزو عقول المثقفين ، و تكـون الأسـاس الفـكرى و الميثاق القومى للحـكومات الاسلامية ، أخرها مدة نصف قرن ، و هى مدة لا يستهان بها فى سير الحوادث و تيارها الجارف ، و

---

١ ـ زعماء الاصلاح فى العصر الحديث للدكـتور أحمد امين ص ١٠٦

لو لا هو و تلميذه النابغة — الشيخ محمـــد عبده — اللذان أصبح حبهما و الانتصار لهما شعار المثقفين الأحرار فى الشرق الأوسط، لكان الإلحاد و التبرؤ من الدين أسرع و أوسع فى هذه الطبقـة التى لم تخضع قط فـكريا لعلماء الدين على النمط القديم ، و قـــد صدق المستشرق الألمانى الـكبير كارل برو كلمان إذ قال :

« مهما يـكن من أمر فقـد كان الاسلام — و لا يزال — هو المهيمن على الحياة الدينية فى مصر ، و إنما يرجع الفضل فى ذلك — فى المحل الأول — إلى تأثير جمال الدين الأفغانى (١)»

حركة « الإخوان » و الخسارة بفقدانها :

و لـكن الحاجة إلى مواجهة حضارة الغرب وجها لوجـــه ، و نقدها النقد الجرئ الأصيل ، و الظهور أمام الغرب فى مظهر الداعى المهاجم كان يطلب دراسة أعمق ، وجهوداً أكثر ترابطاً و أكثر تركيزاً ، و معرفة بطبيعة الحضارة الغربية و تركيبها أدق، وحماسة فى الدعوة إلى الاسلام و نظمه ومناهجه أشد ، و تطلب موقفاً غير موقف الزعيم السياسى الذى و قفه جمال الدين ، و موقف المحامى المدافع عن الشريعة الاسلامية الذى وقفه الشيخ محمد عبده ، على إخلاصهما و عظمة شخصيتهما ، و ضخامة الفـائدة التى حصلت على أيديهما و أيدى تلاميذهما الفضلاء .

و قد كان فى حركة « الاخوان المسلمون » كبرى حركات

---

١ - جمال الدين الافغانى للاستاذ محمود أبورية ص ١٢ .

الشرق الأوسط الدينية و السياسية ، لو قدرلها أن تسير سيرها الطبيعي و تؤثر تأثيرها المطلوب و التف حولها الباحثون النوابغ و المفكرون الاسلاميون و رجال الاختصاص الفني ، والدراسات الواسعة العميقة التي قد بدت طلائعها (١) أمل في أن يتم مابدأه السيد جمال الدين الأفغاني و محمد عبده من عمل تحرير الفكر الاسلامي الشرقي من جمود القديم و من تقليد الغرب السخيف ، و تملأ الفراغ الفكري في الشرق و تنجح في تأسيس المجتمع الاسلامي القوي المستقل في شخصيته و في تفكيره و في وطنه ، و لكن طغيان الجانب السياسي العملي على رجال هذه الدعوة في جهة و و محاربة القوات المتجهة إلى « العلمانية » و المادية لها في جهة أخرى قد حرمت العالم العربي — و العالم الاسلامي بدوره — ثمرات هذه الحركة الواسعة القوية التي كانت أقوى انتفاضة دينية و ثورة إسلامية في العصر الحاضر ، و كان ذلك رزءاً و خسارة للعالم الاسلامي لا تعوض .

المتخرجون في أوربا طلائع

الفكر الغربي في العالم العربي : بدأ صفوة الأذكيا و خيرة الشباب يدرسون العلوم العصرية في مصر ثم يؤمون عواصم الغرب و مراكز الثقافة العصرية الكبرى في أوربا للتوسع في الدراسات

---

٢ - في كتاباب الاستاذ الشهيد عبد القادرعوده و سيد قطب و محمد الغزالي و سعيد رمضان و أضرابهم .

و التعمق فيها ، و يخوضون هناك فى لجة الحضارة الغربية و فى الأوساط العلميـة التى اعتـادت البحث العميق الدقيق ، و اعتادت الحرية الفكرية و الشجاعة الأدبية و عافت التقليد و الأخـذ بشئ على عواهنه ، فكان من المتوقع و من المعقول جداً أن يوجد فى هولاء الشباب الشرقيين الذين نشأوا فى مصر البلد الاسلامى و قرأوا القرآن — معجزة كل عصر — رجال يروعهم ضعف أساس الحضارة الغربية و الفكرة الغربية و إسرافها فى المادية ، و تطرفها فى القومية و النظر المادى القاصر المحدود إلى الانسان ، و كل ما أنتجه و قام به من مظاهر العقل و الروح و البطولة ، و يثير ذلك فيهم النخوة الاسلامية و المعانى الانسانية الكريمة العميقة و يثير فيهم روح الاستنكار و التمرد على مثل الحضارة الزائفة ، و يكون فيهم مفكر حر مثل محمد إقبال و ثائر و داعية مثل محمد على (١) و كانوا أولى بذلك من هذين فقد نشأ

١ ـ هو الزعيم الهندى المشهور محمد على بن عبد العلى ، ولد فى إمارة رام پور (فى المقاطعة الشمالية الغربية) سنة ١٨٧٨ م و نشأيتها فى حضانة أمه القوية النفس و الهمة ، و التحقق بمدرسة بريلى الثانوية ، ثم انتقل إلى كلية عليكره الاسلامية ، و تخرج فيها فى سنة ١٨٩٦ م ، و سافر إلى انجلترا و انتسب إلى جامعة أوكسفورد حيث نال شهادة فى الليسانس (B. A.) بامتياز و فاق فى الأدب الانجليزى ، و احتوى على ثروته الأدبية و أساليب اللغة الانجليزية المتنوعة كأبناء البلاد ، و أصحاب اللغة ، و رجع إلى الهند و شغل وظيفة كبيرة فى إمارة « برودة » و مكث فيها سبعة أعوام ، ثم استقال منها و أصدر من كلكتا سنة ١٩١١ صحيفة (Comrade) الأسبوعية الانجليزية التى نالت إعجاب الانجليز و ادبائهم وحكامهم بأسلوبها الأدبى الرصين و الفكاهة الحلوة —

الأوثان في بيئة بعيدة عن مهد الاسلام و مركز الثقافة الاسلامية ، و جرى في عروقهما دم غير عربي و غير إسلامي (١)، و لكن هذا الأمل لم يتحقق إلا في نادر الأحوال ، و رجع أكثر هؤلاء الشباب المسلمين طليعة الفكر الغربي ، و دعاة

و انتقلت بعد ذلك إلى دهلي ، و أصدر منها صحيفة يومية اردوية سماها (همدرد) و نالت المكانة الرفيعة و القبول العام لصدق لهجتها ، و كتب مقالة مستفيضة في كومريد طويلة بعنوان (Choice of the Turks) « إختيار الاتراك » إنتقد فيها سياسة الحلفاء و الانجليز بصفة خاصة ، تعتبر من أقوى المقالات التي كتبت في الهند ، أثارت غضب الحكومة الانجليزية فاعتقلته سنة ١٩١٤ و بقي مدة الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩١٨ حفظ فيها القرآن و درس الاسلام دراسة عميقة و أطلق في آخر سنة ١٩١٩ م و أسس الجامعة الملية الاسلامية في سنة ١٩٢٠م و اعتقل مرة ثانية بتهمة إثارة الجيش ضد الحكومة و حكم عليه في كراتشي بسجن عامين و أطلق في آخر سنة ١٩٢٢ و رأس حفلة المؤتمر الوطني العام (Indian National Congress.) في كوكنادا في جنوب الهند سنة ١٩٢٣ ، و اعتزل المؤتمر سنة ١٩٢٩م وحضر مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣٠م وخطب فيها خطبة عظيمة ، ومات في يوم ٤ من يناير سنة ١٩٣١ ، و نقل جثمانه إلى القدس حيث دفن في المسجد الأقصى في احتفال عظيم وجنازة مشيعة تشييعاً عظيماً ، ورثاه كبار السياسيين في الأقطار الاسلامية و الهند ، و اعترفوا بعصاميته و عبقريته الأدبية ، و شجاعته السياسية وحميته الاسلامية ، و من الأقوال المأثورة للمؤرخ الانجليزي الشهير (H. G. Wells) إن محمد علي جمع بين قلب نابليون ، و قلم ميكالي ، و لسان برك .

١ - كان محمد علي من سلالة هندية في شمال الهند الغربي ، و محمد إقبال أشار إلى أصله الهندي البرهمي كثيراً ، فيقول في بيت يعاتب فيه شابا ينتمي إلى أهل البيت قد تأثر بالفلسفة تأثيراً عميقاً و مال إلى الالحاد « أنت تنتمي إلى سيد بني هاشم في نسلك ، أما أنا — المؤمن بالاسلام و بمحمد صلى الله عليه وسلم إيمانا لا يعتريه شك — فان طينتي هندية ، و انا انتمي في نسبي إلى سومنات — معبد الوثنيين القديم — و كان آبائي من عباد اللات و مناة » (ضرب كليم)

متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية و قيمها و مفاهيمها و تصوراتها .

صدى أفكار المستشرقين فى مصر : بل رجع كثير منهم متشبعين بروح الغرب يتنفسون برئة الغرب ، و يفكرون بعقله ، و يرددون — فى بلدهم — صدى أساتذتهم المستشرقين ، و ينشرون أفكارهم و نظرياتهم فى إيمان عميق ، و حماسة زائدة ، فلا يقرأ انسان لعالم مستشرق فى الغرب بحثاً و لا يعرف له نظرية إلا و يجد أديباً أو مؤلفاً فى مصر يتبنى هذه النظرية بكل إخلاص و يشرحها و يدعو إليها فى كل لباقة و بلاغة ، مثل بشرية القرآن ، و فصل الدين عن السياسة ، و أن الاسلام دين لا دولة ، و الدعوة إلى العلمانية ، و الشك فى مصادر العربية الأولى ، و الشك فى قيمة الحديث العلمية و انكار مكانته و حجيته و مكانة السنة فى الاسلام ، و الدعوة إلى تحرير المرأة و مساواتها بالرجل و إلى السفور ، وكون الفقه الاسلامى مقتبساً من القانون الرومانى ، و متأثراً به فى روحه و سبكه ، و الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام ، و تمجيد العصر الفرعونى ، و التغنى بحضارته و أدبه و أمجاده ، و الدعوة إلى العامية و التأليف فيها ، و اقتباس الحروف اللاتينية و التقنين المدنى العربى على أساس القانون المدنى الغربى ، والدعوة إلى القومية العربية و الاشتراكية المادية — و الشيوعية الماركسية

أحيانا — فى العصر الأخير ، ترى ظلال الفكر الغربى بل التعبير الغربى وارفة ممدودة على العقول العربية و الأقلام العربية مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة ، منعكسة فيها . انعكاس الشمس فى المرآة الوضيئة ، و قد شهد بتغلغل الأفكار الغربية فى المجتمعات و الدول الاسلامية عالم مستشرق عرف الشرق الاسلامى ، و عرف تياراته الفكرية معرفة دقيقة ، يقول ه ، أ ، ر ، جب فى كتابه « إلى أين يتجه الاسلام » ؟ :

« و إذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربى ، ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام كان علينا أن ننظر إلى ماوراء المظاهر السطحية ، . . . علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة و الحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم و تصبح جزءاً حقيقياً من كيان الدولة الاسلامية ، فتتخذ شكلا يلائم ظروفها (١) »

اتجاه حركة التأليف والترجمة

إلى الأدب و الاجتماع : و كان هؤلاء الأدباء و الكتاب قد أسدوا معروفا كبيراً ، و أحسنوا إلى مجتمعهم و بلادهم و لغتهم لو نقلوا الكتب من اللغات الغربية المؤلفة فى أغراض العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية و الطبعية و الميكانيكية

---

1 — Wither Islam P. 328 — 329

الترجمة ماخوذة من رسالة « فى وكر الهدامين » للدكتور محمد محمد حسنين .

النظرية و التطبيقية ، التى لا تزال المكتبة العربية فقيرة فيها كما فعل الأدباء فى اليابان لحولوها إلى بلاد صناعية تضارع أعظم الدول و الأقطار الأوربية فى العلوم الطبعية و الصناعية ، و كما فعلت دار الترجمة فى حيدر آباد ، ولكن انصرفت عنايتهم و هوايتهم إلى ترجمة كتب الآداب و علم الاجتماع و الفلسفة و التاريخ ، و الروايات و القصص ، و ترجمة كتب كثير من دعاة الالحاد و الثورة و الاضطراب الفكرى فى المجتمع الغربى ، التى ساعدت فى انتشار التبلبل الفكرى و الاضطراب الاجتماعى ، و ضعف شخصية الفكر العربى و الأدب العربى ، و أحدثت اصطراع الأفكار و المثل و مناهج الفكر .

و قد وجد لهذا الاتجاه الأدبى كتاب و أدباء فى مصر لهم قيمتهم الأدبية و انتاج أدبى كبير ، و لكن لم يظهر فى مصر و لا فى الشرق العربى نوابغ و عبقريون فى العلوم العملية و فى مجالات الطبيعة و الكيمياء ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، يعترف العالم الغربى بتفوقهم فى هذه العلوم ، و بقيمة بحوثهم و إنتاجهم العلمى ، وينالون إعجاب الأوساط العلمية الكبيرة وتقديرها .

صورة من الحياة الغربية : و وجد فى مصر كتاب و أدباء دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية ، و اتخاذها مثلا أعلى فى الحضارة و الاجتماع ، و كانت مصر — لبقائها تحت الاحتلال الغربى مدة طويلة ، و بحكم قربها من أوربا و بفقدان الدعوات

الدينية التجديدية المؤسسة على النقد العلمي — تزداد انصباغا بالحضارة الغربية كل يوم ، و تتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً ، حتى كادت تصبح فى الطبقة المثقفة و الارستقراطية صورة من الحياة الغربية ، و استطاع الدكتور طه حسين فى سنة ١٩٣٨م أن يصور بلده تصويراً غربياً ، و يقول فى كتابه المشهور « مستقبل الثقافة فى مصر » :

« حياتنا المادية أوربية خالصة فى الطبقات الراقية ، و هى فى الطبقات الأخرى تختلف قربا و بعداً بين الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد و الجماعات و حظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد ، و معنى هذا أن المثل الأعلى للمصرى فى حياته المادية إنما هو المثل الاعلى للأوربى فى حياته المادية (١) »

« و حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها و ألوانها أوربية خالصة ، نظام الحكم عندنا أوربى خالص ، نقلناه عن الأوربيين نقلا فى غير تحرج و لا تردد ، و إذا عبنا أنفسنا بشئ من هذه الناحية فانما نعيبها بالابطاء فى نقل ما عند الأوربيين من نظم الحكم و أشكال الحياة السياسية (٢) »

« و التعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ، ووضعنا مناهجه و برامجه منذ القرن الماضى ؟ على النحو الأوربى الخالص ، ما فى ذلك شك و لا نزاع ؛ نحن نكون أبناءنا فى مدارسنا

١ ـ مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣١   ٢ ـ ايضاً ص ٣٢

الأولية و الثانوية و العالية تكويناً أوربياً لا تشوبه شائبة (١) »
و يستخلص من هذا كله النتيجة الآتية ،
« كل هذا يدل على أننا فى هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوربا إتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً منها لفظاً و معنى و حقيقة و شكلا (٢) »

دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب : لقد كان من المتوقع ومن المعقول جداً أن مثل الدكتور طه حسين صاحب الشخصية القوية فى الأدب و العلم ، الذى حفظ القرآن فى الصغر ، و درسه فى الكبر و تعلم فى الأزهر ، و نظر فى العلوم والآداب نظرة حرة واسعة ، و رأى شقاء أوربا بحضارتها المادية و فلسفاتها الإلحادية ، و حكوماتها القومية ، و تذمر مفكريها و العلماء الأحرار فيها ، و درس تاريخ العرب و السيرة المحمدية دراسة تذوق و إتقان ، لقد كان من المتوقع والمعقول جداً ، أن يدعو مصر إلى الاستقلال الفكرى و الحضارى ، و تربية شخصيتها الاسلامية العربية ، و النهوض برسالتها العظيمة التى تستطيع أن تحدث انقلابا فى الأوضاع العالمية ، و تمنح مصر مركز الزعامة و القيادة و التوجيه حتى و لو كانت مصر جزءاً من العالم الغربى ، و قطعة من أوربا ، فالرسالات السماوية الانسانية أسمى و أوسع و أبقى من الحضارات ،

---
١ ـ ايضاً ص ٣٦
٢ ـ ايضاً ص ٣٤

و هى غنية عن الحدود الجغرافية ، و الأدوار التاريخية ، و إذا فعل ذلك ، و قام بهذ الدعوة كان رائد النهضة الفكرية الحقيقية ، و الثورة المصرية المباركة ، و اتفق ذلك مع مواهبه العظيمة كل الاتفاق .

و لكن كان من نتائج تغلغل الثقافة الغربية فى الطبقة المثقفة فى العالم الاسلامى و سيطرتها على التفكير و المشاعر ، ضعف المجتمع الاسلامى الذى نشأ و عاش فيه طه حسين إنه قام يدعو مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب ، و يجند كل ذكائه و إنشائه و دراسته التاريخية لإثبات أن العقلية المصرية عقلية أوربية أو قريبة قربا شديداً من الأوربية ، و لها اتصال وثيق بالعقلية اليونانية ، و بعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية ، و هى منذ قديم الزمان ، منذ العهد الفرعونى لم تتأثر بالطارئ عليها فى أى عصر ، فلم تتغير بالفرس ، و لا بالرومان و لابالعرب والاسلام ، « إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشئ فانما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، و إن تبادل المنافع على اختلافها فانما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط (١) » و يقول : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند و الصين (٢) » .

و على هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين

---

١ - ايضاً ص ٢٢ ٢ - ايضاً ص ٤١

إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم ومشاركة الغربيين — أعضاء الأسرة العقلية الواحدة — فى جميع مناهجهم و مقاييسهم و أذواقهم و أحكامهم فيقول :

« . . . أن نسير سيرة الأوربيين و نسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً و لنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها و شرها ، حلوها و مرها ، و ما يحب منها و ما يكره و ما يحمد منها و ما يعاب (١) »

« و أن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، و نقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها (٢) »

مستوى فكرى نازل : إن هذا المستوى الفكرى ، مستوى التقليد و التطبيق و التشبه و الانسجام بالغرب ، و إن قياس التبعات و الواجبات و الرسالات بمقياس الجغرافية و التاريخ و طبائع الأمم و عقلياتها فى ضوء التاريخ القديم ، مستوى كنا نتوقع من عالم مصرى و أديب مفكر مثل الدكتور طه حسين أن يترفع عليه ، و قد ترفع على ذلك بعض القادة الشرقيين فى أقطار غير إسلامية فصاروا يلهجون بالجامعة الانسانية والنظرة الآفاقية ، و المثل الخلقية و الروحية التى هى فوق الحدود و الثغور و فوق المناطق الحضارية و الثقافية فى العالم القديم أو الجديد ، ويكفرون بالروابط التى توزع الأسرة الانسانية المؤحدة بين الأوطان و

١ - ايضاً ص ٤١ ٢ - ايضاً ص ٤٤

الأجناس و المناطق الحضارية و بين العالم الغربى و العالم الشرقى ، و كان المسلم العربى أحق بهذه الفكرة الواسعة و أحق بأن يتزعم هذه الدعوة و يقودها فانه نشأ فى ظل « شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية »

الطبعة الجديدة العربية

للحركة الكمالية التركية : لم تزل الثقافة الأجنبية — فى داخل البلاد و خارجها ، و لم تزل الدعوة إلى « التغريب » والفلسفات الغربية المادية التى ترد إلى البلاد من الخارج ، و يتطوع لنشرها و شرحها كبار الأدباء و الكتاب فى البلد ، تعمل عملها الطبيعى فى أذهان الناس و تلتهمها الطبقة الجامعية المثقفة و الشباب الناشئ و الضباط فى الجيش ، و كل ذكى و ثائر على الأوضاع الفاسدة السائدة التى لا تطاق ، و تظهر فى هذه الأغراض كتب و مؤلفات يقرؤها الشبان عند المراهقة الفكرية فيسيغونها و تصبح جزءاً من فكرتهم و عقيدتهم و مطامحهم فى الحياة ، و ينظرون إلى هذه الفلسفات كالطريق الوحيد للنهضة بالبلاد و مجاراة الدول و الأقطار الحرة الراقية ، و تعجز المعارف و وسائل التربية و التوجيه و الأدب المقبول عن أن يخلق فى هولاء تفكيراً أسمى و طموحا أبعد من هذه الخطط التقليدية المرسومة المرددة فى كل بلد ، و التى سبق إليها كمال أتاتورك ، و تحققت له الزعامة فى حركة التغريب ، و تطوير البلاد والمجتمع و العقلية من الأساس

الاسلامی الايمانی إلى الأساس الغربی المادی ، فيحاولون تقاليدها و تطبيقها فی بلادهم باختلاف نوع القوميــة (١) ، و باضافــة الاشتراكيــة التی لم تبلغ فی عصر كمال أتاتورك هذا الطور الواضح المتميز القوی ، و لم تكسب هذه السيطرة ، و هــذا السحر على العقول و الأفكار ، و لم يبق لهذه الطبقة إلا أن تتولى القيادة و تجد فرصة لتطبيق مخططها الفكری .

جاءت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م و نجحت بطبيعة الحــال و رحب بها كل ساخط على الأوضاع الفاسدة و كل محب للبلاد و للنهضة و القوة و الاستقلال ، و عقد بها الناس — على اختلاف طبقاتهم و وجهات نظرهم — آمالا كــثيرة مختلفة . و كان فی إمكانها و استطاعتها أن تعيد إلى مصر مكان الصدارة فی العالم العربی ، الزعيم للاسلام و مكان التوجيه و الثقة و الاحترام فی العالم الاسلامی ، و أن تشق طريقها إلى الأمام ، و أن تنهج لها نهجاً فی الحياة يوافق طبيعة الشعب المصری المسلم القوی فی إيمانه و فی عاطفته الدينية ، و طبيعــة العالم العربی الذی أبى الله أن ينهض و يتحد و يسود إلا بهذا الدين الذی اختاره لزعامتــه و قيادته ، و يوافق طبيعة العالم الاسلامی الذی لا ينشط و لا يتحمس و لا يرتبط إلا بدعوة دينية . و يوافق طبيعة العصر الذی ضاق بالقوميات و تخطى — فی سيره الحثيث — العصبيات التی تقوم

١ ـ القومية العربية بدل القومية التركية .

على أساس العنصرية أو اللغـة أو اللون أو الوطن ، و صار ينظر إلى هذه الروابط و الجامعات كدعوات رجعية جاهلية تمزق الأسرة الانسانية و الوحـدة البشرية ، و ينتظر من شعب عربى قيادة أوسع نظراً و أكثر « تقدمية » من القوميات ، و كل ينتظر من قادة هذه الثورة الموفقة عقليـة أوسع ، و صدراً أرحب ، وذكاءً أكثر عمقاً ، وتخطيطاً أكثر أصالة ، ومطابقة للواقع .

محاولة تطوير المجتمع المصرى والعربى كلياً : و لكن تحقق سريعاً أن هذه الثورة ليست إلا « الطبعة العربيـة الجديدة » (مزيدة منقحة) بحركة التغريب والتطوير التى تزعمها كمال فى تركيا ، و أنها فكرة مستقلة ، و فلسفة قائمة بذاتها ، و خطة كاملة مصممة تصميما دقيقاً لتطوير المجتمع المصرى — وبواسطته وعن طريقه — المجتمع العربى تطويراً قومياً ماديا اشتراكيـاً ، حتى تصبح مجتمعاً جديداً ، « يستخلص لنفسه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم أخلاقية جديدة و تعبر عنها ثقافة وطنية جديدة (١) » و ينظر إلى الحرية ، و الاشتراكية ، و الوحدة (٢) ، كأسس الحياة و أهداف النضال و يبحث عن جذور النضال المصرى « فى التاريخ الفرعونى صانع

---

١ - نفس التعبير الذى جاء فى النص الرسمى لميثاق العمل الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد النـاصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى يوم ٣١ مايو ١٩٦٢م أنظر الباب الأول نظرة عامـة .   ٢ - ايضاً

الحضارة المصرية و الانسانية الأولى (١) ، و يحدد نضاله للأمة العربية التى تقوم على وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكرة و العقل و وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير و الوجدان ، ووحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير (٢) ، أما الدين الاسلامى — الذى هو دين العرب إلا من شذ منهم — فينظر إليه كأى دين من الأديان الكثيرة التى تدين بها أمة أو بلاد ، و يضعها جميعاً فى صعيد واحد ، و مستوى واحد ، و يسمح لها بالبقاء و يعترف بها — جميعاً — بالشرف و التأثير . إن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان و على إضاءة حياته بنور الإيمان و على منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير و الحق و المحبة (٣) ، و يتكلم عن هذه الأديان كأى اشتراكى مادى لا ينظر إلا إلى قيمة الأديان المادية و الثورية و دورها فى التاريخ الانسانى ، و لا يؤمن بالآخرة و الحقائق الغيبية ، و إلى قيمة العقيدة الدينية و الثواب الأخروى . إن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان و سعادته ، و إن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر

---

١ ـ الميثاق القومى الباب الثالث .

٢ ـ ايضاً الباب التاسع .   ٣ ـ ايضاً ، الباب السابع .

رسالتـــه (١) » و ينظر إلى المجتمع و أعضائه و حقوقهم نظرة لا تتقيد بالتشريعات الاسلاميـــة و الحدود التى بينها الله تعالى للانسان ، و إنما تقوم على أسس المجتمع الغربى والتفكير العصرى، فالمرأة فى نظره « تتساوى بالرجل و لابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمل و ايجابية فى صنع الحياة (٢) »

و بصرف النظر عن هذه التفاصيل والشواهد فانه مما لاشك فيه أن الفكرة التى تسيطر على هذا الميثاق و واضعـــه ، و التى دفعت إلى سبكه فى هذا القالب هى الفكرة المادية ، و للانسـان أن يسحب من نص الميثاق كلمة العرب و مصر التى تتردد كثيراً و مايدل على البيئة التى صدر فيها هـذا الميثاق . و ينسبه إلى أى جمهورية علمانية اشترا كية فى الشرق ، وكلها تعترف بحرية العقيدة الدينية و قداستها ، و بتأثير القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان فى تاريخ الانسان و المدنية .

و قد اتخذ قادة الثورة خطوات حاسمة ايجابية لتطوير المجتمع المصرى و تطوير العقليـــة المصرية — كمرحلة إلى تطوير العقليـــة العربية — فشجعوا على الإشادة بالقومية العربية كديانة وعقيدة ، و جعلوا الأدباء و الكتاب يتغنون بها ، كالهدف الأسمى ، ويتغنون بأمجاد العهد الفرعونى ، و الدعوة إلى إحيائها . و الفرعونيـــة

---

١ ـ ايضاً ، الباب السابع

٢ ـ ايضاً ، الباب السابع

كقومية و حضارة و تراث ، و هتف الهاتفون « نحن أبناء العرب و الفراعنة » و لم تعد كلمة « فرعون » تثير فى النفوس الكراهيــة و الاحتقار ، و معانى اللعنة و العار . التى ألحقها به القرآن ، و آمن بها المؤمنون فى كل مكان و زمان ، و أصبح العرب و العروبة تشارك الله فى العزة و الكرامة . فيقول القائلون « العزة لله و للعرب » و يرحبون بكل من يغلو فى ذلك و يبالغ و لو وصل إلى درجة الكفر ، و خرج من الاسلام ، و يشجعون على ذلك بالجوائز و الصلات و أنواع التحبيذ وأساليب التحسين ، و أرخوا العنان للكتاب والصحفيين يسترسلون فى ذلك ماشاؤا . و سمحوا للصحف أن تستهزئ بالدين و شعائره و مقدساته و تنتهك الحرمات و تنشر فى المجتمع الخلاعة و الاستهتار و الميوعة، و لم يزدها التأميم إلا خبالا و إسرافا فى نشر الصور العارية الخليعة ، و الروايات الماجنـــة و القصص الغرامية ، و أخبار الحوادث المثيرة للغريزة الجنسية و الإجرام ، حتى يتطور المجتمع و تتطور العقلية و تأخذ لونها المادى ، و طابعها الاشتراكى .

و اتخذوا لتطوير المجتمع خطوات ايجابية أخرى ، من تطوير الأزهر ، و إلغاء المحاكم الشرعية ، والقضاء الشرعى ، والوقف الشرعى ومن التعليم المختلط والعناية الزائدة بالبرامج الثقافية ، والرقص والغناء .

..و، تأثير الثورة المصرية

وقيادتها فى العالم العربى : و أصبح الشباب العرب ، و كل ذى

طموح ممن تمنى مجد العرب و تمنى لهم كيانا و دولة قوية موحدة تقوم فى الشرق الأوسط يتخذ « الجمهورية العربيـة المتحدة » مثلا أعلى و يدين بحبها و يعتبرها انتفاضة الروح العربية تعيد إلى العرب كـرامتهم ، و مجدهم الغابر و سيادتهم المسلوبة ، و لا غرابة فى ذلك ، و لا مايستحق اللوم و العذل ، فالانسـان مفطور على حب المجد و الغلبة و القوة ، و للشباب العرب كل حق فى أن ينشدوا المجد ، و يريدوا القوة ، و يعضوا على الوحدة بالنواجـذ ، و لكن — مع الأسف الشديد — قد اقترنت بالثورة المصرية وفلسفتها فى العهـد الأخير معانى و حوادث و تصرفات ، و توجيهات تضعف قيمة الاسلام و تقطع رابطـة هولاء العرب و قادتها عن إخوانهم فى العالم الاسلامى ، و تنشئ فيهم المبالغـة فى تقديس القومية العربية ، و التعصب لها ، و الايمان بها كفكرة كاملة و ديانة لها مفهومها العقائدى ، و قد بدأ الالحاد ينتشر بسرعـة غريبة فى الشباب المثقف فى العواصم العربية و تبدر من المتحمسين منهم كلمات يخاف منها على صاحبها الكفر و المروق من الدين ، و أصبحوا لاينظرون إلى الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — كمنقذ للعرب ، و مصدر الحياة الجديدة و الكرامة و الشرف و الخلود لهـذا الشعب العظيم ، و يرجعون إلى المـاضى السحيق و يحيون أمجاده و حضارته ، و يغضبون للجاهليـة إذا ذمت و تأخذهم حمية الجـاهلية .

طليعة ردة فكرية : إنا نذير شر خطير ، و طليعة ردة فكرية و ثقافية و دينية لا يتداركها و لا يجبر كسرها أعظم مجد ، و أقوى دولة ، و أكبر نهضة ، و أهول قوة ، إنها خسارة ليست فوقها خسارة ، إنها طريق إلى الخزى و العار ، و التشتت و الفرقة ، و الهزيمة و الإخفاق بعد الإخفاق ، و الخيبة إثر الخيبة فى الدنيا ، و لعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون ، و يصدق عليهم قوله تعالى ، « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة و زنا (١) »

الأقطار الاسلامية المتحررة حديثاً فى طريق « التغريب » : و أخاف أن تكون هذه قصة القادة المتجددين الثوريين ، و قصة كثير من الأقطار الشرقية التى تحررت و نالت استقلالها فى مدة قريبة ، يظهر أن زعماءها و ولاة الأمور فيها قد صمموا على تطبيق الفلسفة الفكرية الغربية — بشعبها الاقتصادية و السياسية و الثقافية — و فلسفة القومية المادية فى بلدهم الاسلامى ، فهم فى حرب دائمة دامية مع الطبيعة الاسلامية العميقة الجذور الممتدة العروق ، و فى صراع مع الجهاز الاجتماعى والعلمى و الخلقى ، الذى فيه الخير الكثير والقوة التى

---

١ ـ الكهف

ترهب و يحسب لها الحساب ، و يمكن أن تنمى و تستغل لصالح الأمة و البلاد ، و فى صراع مع المعنويات التى نبتت و رسخت فى نفوس أفراد هذه الأمة و أجيالها ، بجهود جبارة و دماء زكية سخية ، و إخلاص ليس له نظير ، و على حساب الايمان — بالله و بالرسول و بالغيب — الذى لا يصنع فى المصانع ، و لا يولد بالخطب الرنانة ، و لا يخلقه إلا تأثير الرسل و شخصيتهم القوية ، و جهود الدعاة المخلصين من الطراز الأول ، و الذى إذا فقد من الأمة لا يعود بسهولة ، و لا يملأ فراغه شعور قومى ، أو وعى سياسى أو تقدم فى المعرفة و الثقافة ، و الذى صنع المعجزات فى القديم ، و خليق بأن يصنعها فى كل وقت ، و على حساب العاطفة الدينية التى يرجع إليها الفضل فى الفتوح و الانتصارات القومية و السياسية ، و تجلت قوتها فى معركة القناة ، و تحرير الجزائر ، و تكوين دولة على أساس الاسلام و القومية الاسلامية فى شبه قارة الهند (١) لا يحلم بها فى عصر السياسة الوطنية و العلمانية .

عملية هدم و إزالة أنقاض : و هكذا تغرز شجرة الحضارة الغربية و الفلسفة الغربية التى ساهم فى نشأتها و سموقها مناخ خاص ، و سقى خاص ، و غذاء خاص ، و قد توفرت هذه العوامل كلها فى الأراضى الأوربية ، تنقل هذه الشجرة — بعد ما كبرت و ترعرت — إلى الأرض الاسلامية فتغرز فيها و تنصب بقوة ،

١ ـ و هى دولة باكستان .

و يهيأ لها الجو ، و يحفر لها الأرض حفراً عميقاً ، و يقوم الحريصون على نصبها فى البلد الاسلامى بعملية الهدم الواسعة وإزالة الأنقاض الفكرية و الاجتماعية — كما يسمونها — من حولها ، و تستغرق هذه العملية الهدامة جهوداً و طاقات و أوقاتاً كانت تعود على الأمة و على البلاد بنفع كبير ، لو وجهت إلى عملية إيجابية بناءة ، و إلى إثارة القوى الكامنة فى نفوس رجال هذا الشعب الاسلامى عن طريق الايمان والدعوة الدينية ، والاصلاح الخلقى .

رجعية التقدميين : وقد يلجأ هؤلاء المتجددون فى سبيل التجديد إلى بعض الفلسفات و النظم و الروابط ، التى فقدت قيمتها و مكانتها فى المجتمع الأوربى من زمان ، و أصبحت تعتبر من الشعارات الرجعية و من التجارب القديمة التى لجأ إليها القادة فى أوربا فى ظروف خاصة ، و فى وقت محدود ، ثم استغنوا عنها بما رأوا من أضرارها و جناياتها و تركوها إلى فلسفة أو فكرة أفضل منها و أوسع ، و خير مثال لذلك « القومية » التى تخلت عنها أوربا تقريباً ويعض عليها بعض القيادات فى الشرق الاسلامى بالنواجذ ، و ترى فيها الأسلوب الأخير من التفكير ، و آخر ما وصل إليه العقل البشرى من وسائل التنظيم و التخطيط مع أنها من بقايا عصر البداوة والحياة القبلية المحدودة فى صورة موسعة ، و طمر بال خلعه الأوربيون ، و من العوامل الهدامة التى فرقت

المجتمع البشرى و وزعت الجيل الانسانى على نفسه .

تقليد دعاة التجديد : إن هذه المحاولة المخلصة الملحفة لتطبيق تجارب الحياة الأوربية فى بلد إسلامى يبرهن على أن قادة هذه البلاد — و إن دوت أسماؤهم فى العالم و قادوا الجماهير الكثيرة — لا يزالون — رغم ثقافتهم العصرية الواسعة — فى دور الطفولة العقلية التى يكثر فيها التقليد و المحاكاة و التلمذة المتواضعة لأساتذتهم الغربيين ، و أن شخصياتهم مجردة عن كل ابتكار و عن القدرة على الانتاج الأصيل و الإبداع ، و عن التفكير الحر ، و إنهم فضلا عن جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الشعوب التى يحكمونها، و لمواهبها و طاقاتها لا يسايرون الفكر الأوربى فى تقدمه و أطواره ، و لا يعرفون ما يجيش به المجتمع الأوربى من قلق و تذمر ، و بحث عن الايمان و الروحانية .

صراع بين الحكومات و الشعوب : إنهم فى بلاء و شقاء من هذه الشعوب التى لا يسهل عليها التخلى من المبادئ الدينية ، و من ثروتها الايمانية و من تراثها الغنى ، و الانقطاع عن منابع الحياة و القوة التى تكمن فى مصادرها الدينية ، و أدبها الاسلامى ، و تاريخ الاصلاح و التجديد ، فهم فى عملية هدم واسعة الأكناف ، طويلة المدى ، متاربة من جهات كثيرة ، و الشعوب الاسلامية — التى وقعت تحت حكمهم و قيادتهم — فى بلاء و شقاء من هولاء القادة .

فهم يحاربون طبيعتها و يقودونها بهتافات و شعارات لا تسيغها هذه الشعوب و لا تنشط لها ، و لا تستطيع أن تحبب إليها الموت و الفداء ، و تهون عليها بذل النفوس و الأموال و الهجرة من الأوطان ، و تغلب على الشهوات و الأنانية الفردية ، و قد عرف هولاء القادة ضعف هذه الهتافات و الشعارات فى إثارة الحميـة ، و إشعال الحماسة فى نفوس المتحمسين فهم يلجأون دائماً أيام الجـد و المعارك الدموية الحاسمة إلى الهتافات الدينية و الشعارات القديمة من الجهاد فى سبيل الاسلام والشهادة فى سبيل الله حتى إذا وضعت الحرب أوزارها ، و تسلموا مفاتيح البلاد ، عادوا إلى هتافاتهم ، و شعاراتهم القومية و الزمنية ، و يفترضون أنهم يحكمون شعوبا ليست لهـا ديانة تحبها و تقدسها و تستميت فى سبيلها ، و ليست لها عاطفة دينية تحتاج إلى التربية و الاستثمار .

- إهمال طاقات وكنوز مخبوءة : و هكذا تضيع طاقات هذه الشعوب و مواهبها ، و إمكانياتها التى لو استثمرت و قدرت حق التقدير ، و كان القـادة « واقعيين » أكثر منهم « خياليين » لفعلت الأعاجيب ، و كانت قوة يحسب لها الحساب الكبير فى ميزان القوى و فى ميزان « المعسكرات » و لا سبب فى ذلك إلا ضيق تفكير هولاء القادة ، و تقليد هذه الحضـارة ، و التصميم على تطبيقها فى بلدهم بحذافيرها . و هذا بتأثير الثقافة الأجنبية التى تلقوها فى الخارج ، أو خضعوا لها و هضموها فى داخل بلادهم .

خضوع قادة البلاد الاسلامية
للحضارة الغربية و قيمها : و يعجبنى فى ذلك ما قرأته حديثاً
لكاتبة أمريكيـــة فاضلة اهتدت إلى الاسلام قريباً ، و هى تصف
هذه الطبقة الحاكمة ، و قادة البلاد الاسلامية و خضوعها للثقافية
الغربية و تقديسها الزائد للحضارة الأوربية ، تقول الفاضلة مريم جميلة
(Margaret Marcus) سابقاً ، فى كتـابها الجديد (Islam -
Versus the West).

إن الحضـارة الغربية بقوتها الاقتصادية و السياسية الفائقة ،
استطاعت أن تبسط نفوذهـا على العـالم كلـــه ، و لمـا استطاعت
الشعوب الآسوية و الأفريقية أخيراً أن تنتصر فى صراعها للحرية
السياسية ، و تحررت من النير الأجنبى ، كانت حضارتها المحليـــة
قد تحطمت قديماً ، إن قادة هذه الشعوب من غير استثنـاء تلقوا
ثقافتهم فى معاهـــد أوربا و أمريكا ، و كانت هـــذه المعاهد و
أساتذتها قد علموهم أن ينظروا إلى تراثهم الثقـافى القومى بنظر
الاحتقار و الازدراء ، و كانوا قـــد خضعوا عقلياً لفلسفــات
الحضارة المـادية .

و هكـذا فان قادة آسيـا و أفريقيـا متفقون مع القـادة
الأوربيين و الأميريكيين على أن الهدف الأسمى ، و المثل الأعلى
للمجتمع البشرى هو تقدمه عن طريق الصناعات الثقيلـــة ، و رفع
مستوى الحياة المادية ، و توسيع القوة الاقتصادية و السيـاسية ،

و هنا لا ينبغى لنا أن نخلط بين أساليب الاسلام لتقرير العدالة الاجتماعية بالأساليب الغربية للوصول إلى هذا الغرض ، الاسلام ينظر إلى الرخاء المادى كوسيلة ، و بالعكس فان الغرب ينظر إليه كغاية .

لا عجب إذا كان الزعماء الآسيويون و الأفريقيون معجبين كل الإعجاب بأساليب حكم الاستبداد الجماعى السائدة فى أوربا وأمريكا، إنهم فى إعجابهم الشديد بما وصلت إليه الصين الشيوعية من التقدم و بما حازته من شرف و مكانة يحرصون أشد الحرص على تطبيق النظم الاقتصادية و السياسية الغربية فى بلادهم ، أما مادفعت الصين من ثمن باهظ لتوسعها السياسى و الاقتصادى ، و كان ذلك الثمن شقاء ملائين من أفراد الشعب الصينى ، و تحطم حياتهم ، فلا يهمهم فى قليل و لا كثير ، لأن مبدأهم « إن الغاية تبرر الواسطة »

قد يبدو لبعض الناس أن النبوغ و اختلاف الألوان الذى كان يوجد فى ثقافات العالم إذا ضعف فانه سينتهى بالشعوب إلى وحدة أقوى و انسجام أكثر فى الناس ، و لكننا شاهدنا بالعكس أن مبدأ هذه الحضارة الأساسى — الذى ظل يسيطر على جميع اتجاهاتها و تصرفاتها — هو الثورة على جميع القيم الروحية و الدينية ، و لما كان هذا الاتجاه ، و هذا المبدأ هما المسيطرين على العالم المعاصر ، لذلك نواجه اليوم من الكراهة الشديدة ، و الحروب الدامية ، و الثورات السفاكة للدماء ما لم نواجهه قبل هذا

اليوم في التاريخ ، و قد فقد الشعور بالمسئولية في العلاقات الدولية ، فالممثلون لأممهم في جلسات الأمم المتحدة لا يتورعون أبداً عن الكذب ، و هم يحرفون الحقائق لمصالحهم القومية الخاصة من غير أن يجدوا وخزاً أو تأنيباً من الضمير ، لأن المبدأ الذي يؤمنون به هو أن كل عمل يخدم مصالحهم القومية — و لو كان ذلك على حساب البلاد الأخرى — لا يعتبر خطأ أو جريمة ، إن هؤلاء الممثلين في الأمم المتحدة لا يصوتون على أساس أن القضية حق وصواب ، إنما يصوتون لأن ذلك في مصلحة شعبهم أو بلادهم فحسب.

إن جناية قادة الأقطار الاسلامية ليست أقل من أي واحد في بلد آخر إنهم انخدعوا أيضاً ، بفلسفات المادية الغربية ، إن بعضهم يتحدث بالكلمات المعسولة الرنانة عن الحاجة إلى تطبيق الاسلام مع روح العصر الحاضر ، و للوصول إلى هذا الغرض هم يدعون إلى الفصل بين تعليمات القرآن الاجتماعية و بين تعليماته الروحية ، ويقولون إن المادة الأولى يعني تعليمات القرآن الاجتماعية كانت ظل ما كانت عليه الجزيرة العربية في القرن السابع المسيحي من أحوال اجتماعية و صورتها ، فيجب أن ترفض على أساس أنها لا تلائم قضايا اليوم التي تشغل الفكر ، و يقرر أن تعليمات القرآن الروحية هي الحقيقة الخالدة ، إنهم يعارضون حقيقة راهنة و هي أن الاسلام منهج الحياة الكامل المنسجم و أنه كل لا يتجزأ و أنه يفوق جميع المناهج التي ابتكرها الغرب إلى هذا اليوم ، إن

رفض أى جزء من هذا المجموع يحطم المجموع (١) »

الموقف الثالث : إذن فما هو الموقف الثالث ، و ما هو الموقف العادل الذى يجب أن يقفه العالم الاسلامى تجاه هذه الحضارة الغربية ؟

إنه لا يمكن تحديد موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية حتى نعرف طبيعة الأمة الاسلامية ، و مركزها فى هذا العالم ، ثم نعرف موقفها من هذه الحياة التى تصوغ الحضارات ، وتشكل المجتمعات و المدنيات .

مركز الأمة الاسلامية

و رسالتها : إن الأمة الاسلامية هى صاحبة الرسالة الدينية الأخيرة ، وهذه الرسالة هى التى تسيطر — ويجب أن تسيطر — على جميع مواقفها ، و تصرفاتها ، مركزها مركز القيادة و التوجيه ، و الحسبة على العالم ، و القرآن يعلن بقوة و صراحة « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ، و تؤمنون بالله » و يقول « و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » « ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس » فلا يجوز أن يكون مكان هذه الأمة فى مؤخر الركب ، و فى صف التلاميذ و الحاشية ، و أن تعيش على هامش الأمم و ترضى — من القيادة و التوجيه ، و الأمر و النهى ، و الخلق و الابداع — بالتقليد

1 — Islam Versus the West P. 25 – 28

و التطبيق ، و الخضوع و الاطاعة . فلا يكون موقفها الصحيح إلا موقف الحر الكريم ، القوى الإرادة ، المستقل التفكير ، الذى يأخذ — إذا اضطر و احتاج — من حوله بارادة واختيار ما يطابقه و يلائمه ، و ما لا يرزؤه فى شخصيته و تفوقه و امتيازه ، و ثقته بنفسه و مركزه ، و ينبذ ما لا يلائمه و يضعف شخصيته و مركزه و يفقده امتيازه و يدمجه فى غيره . و لذلك نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم فى شعائرهم وشاراتهم (١)

و هى أمة ذات هدف معين فى الحياة ، و رسالة كاملة فى العالم ، و حضارتها و ثقافتها ، و كفاحها و إنتاجها ، و كل ما يتصل بها من حركة و نشاط خاضع لعقيدتها و غاياتها و رسالتها فلا قيمة عندها لفلسفة تقول « العلم للعلم » و « القوة للقوة » و « الاكتشاف للاكتشاف » و كذلك ليس من مهمتها بسط السيطرة على الانسان أو على الأكوان ، و تسخير الطاقات البشرية ، أو القوى الطبعية و الفلكية لإثبات قوتها أو تقرير

---

١ ـ قال العلامة الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (م ٧٤٣ ه) فى كتابه الكاشف عن حقائق السنن المحمدية (شرح مشكاة المصابيح) فى شرح حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » الذى أخرجه أحمد و أبو داؤد « هذا عام فى الخلق و الخلق و الشعار ، و لما كان الشعار أظهر فى التشبه ذكر فى هذا الباب » قال العلامة نور الدين على بن سلطان محمد الهروى المعروف بملا على القارى (م ١٠١٤) فى المرقاة « قلت بل الشعار هو المراد بالتشبه لاغير ، فان الخلق الصورى لا يتصور فيه التشبه ، و الخلق المعنوى لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق (ص ٤٣١ ج ٤)

فتوحها المادية و العلمية ، فان ذلك عندها ضرب من العبث ، ونوع من الأنانيـــة المتضخمة ، و القرآن يتلو عليها و يضبط اتجاهاتها و طموحها بقوله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض و لا فساداً ، و العاقبة للمتقين (١) »

المؤمن القوى العليم

الصالح المصلح : إنما يسمح لها الاسلام بالكفاح فى سبيل الحياة و الطبيعة و العلم — و قد يحث عليـه — لصالح البشرية و للغايات الكريمة إلى حد الضرورة ، و قد ضرب الله لها مثلا فى القرآن « بالانسان القوى العليم الصالح المصلح الذى يسخر القوى الكونية و المادية ، و يملك أعظم مقدار من الأسباب و الوسائل و يوسع فتوحه و مغامراته و هو فى كل ذلك ، و فى أوج قوته و سلطته و سيادته ، و تسخيره للقوى و الأسباب مؤمن بربه ، خاضع له ، مؤمن بالآخرة ، ساع لها مقر بضعفه ، رحيم بالانسانية و بالأمم الضعيفة ، حام للحق ، يستخدم كل قوته و جهوده و مواهبه ، و جميع وسائله و ذخائره لخدمة الانسانية ، و تكوين المجتمع الصالح ، و إعلاء كلمة الله ، و إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الناس والمادة إلى عبادة الله ، سيرة مثالها سليمان بن داؤد فى عصره ، و مثلها ذوالقرنين فى عصره ، و مثلها الخلفاء الراشدون و الأئمة المهديون

١ — القصص ٨٣ .

فى عصورهم (١) »

الحياة كمرحلة عابرة

و وسيلة للآخرة : أما موقفها من هذه الحياة ، فهو موقف من لا يراها الغاية الأسمى و المثل الأعلى ، و سدرة المنتهى فى السعادة و التقدم ، إنما ينظر إليها كمرحلة « عابرة » لا بد من اجتيازها ، وكوسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر ، والحياة الدائمة ، و العيشة الراضية ، إن القرآن يقرر — بكل وضوح و قوة — قصر هذه الحياة الدنيا ، و تفاهتها وتضاؤلها فى جنب الآخرة ، فيقول مثلا : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل (٢) » و يقول « ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب و إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (٣) » و يقول « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم ، و تكاثر فى الأموال و الأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاما ، و فى الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان ، و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٤) »

و يقرر كذلك — فى وضوح و قوة — أنها قنطرة إلى الآخرة ، وفرصة للعمل ، فيقول : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة

---

١ ـ تفسير سورة الكهف للمؤلف « المسلمون » المجلد السادس عدد ٤

٢ ـ براءة ٣٨ .   ٣ ـ العنكبوت ٦٤ .

٤ ـ الحديد ٢٠ .

لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (١) » و يقول « الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، و هو العزيز الغفور (٢) » و يقرر أن الآخرة خير و أبقى فيقول « و ما الحياة الدنيا إلا لعب و لهو و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣) » و يقول « و ما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا و زينتها و ما عند الله خير و أبقى أفلا تعقلون (٤) » و يذم و يشنع على من يؤثر الدنيا — هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة — على الآخرة — الباقية الخالدة ، الواسعة الصافية من الأكدار ، الخالية من الأخطار — فيقول « إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها ، و الذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٥) » و يقول « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار ، و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون (٦) » و يقول « و ويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا ، أولئك فى ضلال بعيد (٧) » و يقول « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون (٨) »

---

١ - الكهف ٧ — ٢ - الملك ٢
٣ - الأنعام ٣٢ — ٤ - القصص ٦١
٥ - يونس ٧ - ٨ — ٦ - هود ١٦
٧ - ابراهيم ٣ — ٨ - الروم ٧

و يقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى (١) » و يقول « إن هولاء يحبون العاجلة ، و يذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢) » و يقول « فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى (٣) »

و يمدح من يجمع بين الدنيا و الآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، و معرفة قيمتها و فضلها و الحرص عليها ، فيقول « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و ماله فى الآخرة من خلاق ، و منهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار (٤) » و يقول على لسان نبي الله موسى « و اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة و فى الآخرة إنا هدنا إليك (٥) » و يمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام فيقول « و آتيناه فى الدنيا حسنة و إنه فى الآخرة لمن الصالحين (٦) » .

و خير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، و يحدده بدقة ومقدرة ليست فوقها دقة ومقدرة هو الجملة الحكيمة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى خطبه فى أيام الجمعة ، « إن الدنيا خلقت لكم وإنكم خلقتم للاخرة » فالمسلم يجمع

---

١ - النجم ٢٩ - ٣٠ ٢ - الانسان ٢٧
٣ - النازعات ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ ٤ - البقرة ٢٠٠ - ٢٠١
٥ - الأعراف ١٥٦ ٦ - النحل ١٢٢

بين الانتفاع بمرافق الحياة و أسباب الدنيا و استخدامها كشئ خلق لأجله و سخرله ، و بين السعى للاخرة و الكفاح لها كغاية خلق لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا و قواتها و وسائلها كمطية و مركب لا كراكب و متصرف ، و كمملوك و رقيق لا كمالك و سيد ، و وسيلة لا كغاية ، و ينظر إلى الآخرة كغاية ينتهى إليها و وطن يلجأ إليه فيجمع عليه همته ويرهق له قواه و يحث إليها مطيته ، و ذلك مثل النبوة الذى مثله الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال « ما لى و للدنيا و ما أنا و الدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها (١) » .

و قد تجلت هذه النفسية القرآنية أو النظرة القرآنية إلى الحياة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و تعاليمه و سلوكه ، و كلامه و عواطفه و أمانيه و دعائه و سره و علنه ، و تجلت كذلك فى حياة الصحابة الذين تربوا و تكونت سيرتهم و عقليتهم فى حضانته و تحت إشرافه و من كان على نهجهم و على غرارهم من التابعين و المؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعاً لحياتهم ، و مزاجا لا ينفك عنهم ، و أصبح من الحقائق التاريخية التى لا يمارى فيها .

و هنا تتعارض الأديان السماوية ، و تعاليم النبوة أو مدرسة النبوة — إن صح التعبير — مع الفلسفات المادية ، و

١ ـ رواه أحمد و الترمذى

التفكير المادى الذى يلح على أن هذه الحياة الدنيا هى كل شئ ، و هى المنتهى ، و يبالغ فى تمجيدها و تقديسها و الاحتفاء بها ، والحرص على ترفيهها و تحسينها وتزيينها .

حضارة ثائرة على القيم الدينيـــة و الروحية : و قد كان من المصادفات الأليمة المحزنة ، والمآسى الفاجعة للبشرية أن الحضارة الغربية قد ولدت و ترعرعت فى عصر قد ثار على الدين و أسســه من الايمان بالغيب و غير ذلك ، و فى أمـــة قد ثارت على الذين تزعموا الدين و استغلوه لشهواتهـم و أنانياتهم ، و اشتـــد غضبها عليهم لسوء سيرتهـم و همجيتهم و وقوفهم فى سبيل التقدم و حرية العقل والعلم ، فترافق نشوء الحضارة و الصناعة و الاتجاه المادى العنيف ، الاتجـاه إلى تنظيم الحياة على أسس مادية خالصة ، وقطع صلة المجتمع والبشرية عن فاطرها و مصرف هذا الكون ، و كل ذلك اقتضته سلسلة الأسباب و طبائع الأشياء ، و وضع أوربا الخاص ، فشبت هذه الحضـارة و اختمرت و هى المسيطرة على القوى و الأسبـاب ، قد بلغت الغاية فى التقدم و الصناعة و علوم الطبيعة حتى استطاعت أخيراً أن تعدم المساحات و الأبعاد ، و تجاوز الكرة الهوائيـة ، إلى غير ذلك من الفتوح فى دائرة العلوم الطبعية و الفلكية (١) »

---

١ ـ منقول من تفسير سورة الكهف للمؤلف المنشور فى « المسلمون » المجلد السادس (١٣٧٧ هـ) عدد ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤

سيطرة « المادية » على قادة
التجديد فى الشرق الاسلامى : و قد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد و بالأصح التغريب فى الشرق الاسلامى و تواصفوا — من عهد كمال إلى عهد جمال — على الافتتان بالتقدم المادى و اتخذوا القوة و الرفاهية إلهاً يقدس و يعبد و يكفر بغيره ، و يضحى على أنصابه بكل القيم الخلقية و الروحية، و ما ليست له قيمة مادية ، و حسب القارئ أن يقرأ خطب هولاء الزعماء القوميين و القادة السياسيين ، و ما يكتبونه بين آونة و أخرى ، و ما يدلون به من تصريحات ، و ما يتخذونه من إجراءات رسمية و خطوات عملية و ما يعاملون به الأحزاب التى تفكر غير هذا التفكير ، و تسير غير هذه السيرة ، و تنتقد هذه الاتجاهات ، و حسبه أن يقرأ مشاريع الحكومة و الخطط المستهدفة و مجالات النشاط و الحركة و الحماسة فى الدوائر الرسمية ، يراها مقتصرة على ترفيه البلاد و تقويتها مادياً ، و رفع مستوى الحياة ، و مجاراة الشعوب التى لا تعرف غير المادة و المحسوسات حقيقة ، و لا تعرف غير القوة إلهاً و لا تعرف غير التقدم المادى و الرفاهية الدنيوية هدفا و غرضاً ، و لا تعرف غير مجموعة الأفراد الذين تربط بينهم — رابطة قومية أو معاهدة سياسية — مجموعة بشرية ، تستحق الاحترام و الاهتمام ، إن هذه هى النفسية التى جرت على العالم الشقاء و البلاء فى كل زمان ،

و هى العقلية الضيقة السقيمة التى حاربتها الأديان ، و جاء يمحوها الاسلام ، و أن احتضان قادة بلد اسلامى لهذه الفكرة والعقيدة المادية الضيقة نكسة عظيمة فى التفكير لاتدل إلا على ضعف الايمان و سوء التربيـة ، و سقوط الهمة ، و قصر النظر ، و شقاء هذه البلاد أولا ، و شقاء العالم الانسانى ثانياً .

إن الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومركز هذه الأمة فى العالم ، و معرفة رسالتها و الإيمان بقيمتها ، و التأكيد على قيمة الآخرة و مابعد هذه الحياة — من سعادة و شقاء و جنة و نار — والتأكيد على الجانب الخلقى و الروحى من الحياة ، هو الخطالفاصل الذى يشكل الحد الفاصل الرسمى (Line of Demorcation) بين الحضارتين ، حضارة يوافق عليها الاسلام ، و يتحمل مسئوليتها ، و يباركها ، و تتجلى فيها الشخصية و الأصالة و الاتباع ، وحضارة يتبرأ منها الاسلام ، و يخسر فيها المسلمون ، و تتجلى فيها العبودية و الرضوخ و الاستسلام ، و العبادة التى لا تعرف إلا تقليد الببغاوات ، و محاكاة القرود .

محنة ذكاء وقوة إرادة : إن التصميم الحضارى محنة ذكاء ، و عصامية و عبقرية ، وقوة إرادة ، و فقه دين ، ليست مجرد عملية نقل و تطبيق ، و تعديل و تحسين ، إن الاسلام قد حد حدود الحلال والحرام ، و حرم تخطى هذه الحدود ، و أفسح المجال بينها للتمتع الكريم النزيه ، فى غير إسراف و إجحاف ، و مس بحقوق

الآخرين وحظوظهم ، ومن غير تعرض لخطر الوقوع فى الإثم و الفحشاء و التبذير ، والحياة التى لاتليق بالذكور الرجال ، والكرام الأقوياء ، و هـذه هى الروح التى تسيطر على أحكام اللباس و الطعام و العشرة و الاجتماع و المتعة و اللذة ، و حث على مراعاة المصالح ، والتجنب من المضار والمفاسد ، و إعداد الممكن المستطاع من وسائل القوة و الدفاع ، و اقتباس الصالح النافع من العلوم و الحكمة ، بشرط أن لايكون ذلك على حساب مقومات الشخصية و الكرامة القومية — الاسلامية — و بشرط أن لاينشئ ذلك فى الأمة شعوراً بالنقص ، وقصورا فى الثقة ، و روح اندفاع سريع متهور إلى تقليد الآخرين ، و التشبع بروحهم ، و إجلال حياتهم و تقديسها .

نعومة حرير وصلابة حديد : إنها أساس حضارة تملك نعومة الحرير وصلابة الحديد ، نعومة الحرير فى مسايرة المقتضيات و الحاجات و الحقائق ، غير مفترضة و لامختلقة ، و غير متخيلة و لامبالغاً فيها ، و صلابة الحديد ، و ثبات الجبال على حدود العقيدة و الأخلاق ، إنها مفتوحة العقل و الضمير ، منشرحة الصدر ، متهيأة لاقتباس العلوم النافعة التى نشأت ، و تكونت فى جانب بعيد فى هذا العالم ، واقتباس النظم والأساليب التى لا تمس جوهر الدين و لاتغير وضع الأخلاق .

الإفادة من الغرب ومجالها : وأحلى هذا الفصل الذى يحدد موقف

العالم الاسلامى من حضارة الغرب و ثقافته بقطعة جميلة من كتاب « الطريق إلى مكة » للاستاذ محمد أسد ، فقد بدا فيها الاتزان و الحصافة الفكرية ، و هى تحدد — بلباقة فائقة و مقدرة كبيرة — الخط العادل المتزن الذى يجب أن يسير عليـــه العالم الاسلامى فى الافادة من الغرب ، و تبنى الوسائل الحديثة ، يقول محمد أسد :

« إن عالمى الاسلام والغرب لم يكونا يوما أقرب أحدهما من الآخر ، كما هما اليوم ، و هـذا القرب هو صراع ظاهر و خفى ، ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين و المسلمات لتتغضن رويداً رويداً تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية ، إنهم يتركون أنفسهم ، يبتعدون عن اعتقادهم السابق بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب أن لايكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الانسان الروحيـــة ، إنهم يسقطون فى وثنيـة « التقدم » نفسهـا التى تردى فيهـا العالم الغربى بعد أن صغروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة فى مكان ما من مؤخرة الأحداث ، ولذلك تراهم يصغرون مقاما و لايكبرون ، ذلك أن كل تقليد ثقافى ، بخلاف الخلق و الابداع لابد أن يحقر الأمة و يقلل من شأنها .

أنا لا أعنى أن المسلمين لا يستطيعون أن يفيدوا كثيراً من الغرب ، و بخاصة فى مجال العلوم و الفنون الصناعية ، ذلك أن اكتساب الأفكار والأساليب العلمية ليس فى الحق « تقليداً » وبالتاكيد ليس فى حالة قوم يأمرهم دينهم بطلب العلم فى حيثما يمكن أن يوجد،

إن العلم لا غربي و لا شرقي . ذلك أن الاكتشافات العلمية ليست إلا حلقات في سلسلة لانهاية لها من الجهد العقلي الذي يضم الجنس البشري بكامله ، إن كل عالم يبني على الأسس التي يقدمها له أسلافه ، سواء كانوا من بني أمته أو من أبناء أمة غيرها ، و عملية البناء و الاصلاح و التحسين هذه تستمر و تستمر ، من إنسان إلى إنسان و من عصر إلى عصر ، و من مدنية إلى مدنية ، بحيث أن مايحققه عصر معين أو مدنية معينة من أعمال علمية جليلة لا يمكن مطلقاً أن يقال إنها « تخص » و « تعود إلى » ذلك العصر أو إلى تلك المدنية ، فقد يحدث في مختلف الأزمنة و العهود أن تسهم أمة ما ، أمضى عزيمة و أشد همة من غيرها ، بنصيب أكبر في صندوق المعرفة ، و لكن الجميع مع الزمن يشتركون ، و بصورة شرعية صحيحة في هذه العملية ، لقد جاء حين كانت مدنية المسلمين أقوى و أمضى من مدنية أوربا فنقلت إلى أوربا كثيراً من الاختراعات الصناعية و الفنية ذات الطبيعة الثورية ، وأكثر من هذا : مبادئ « تلك الطريقة العلمية » نفسها التي يرتكز إليها العلم الحديث ، و المدنية الحديثة ، و مع ذلك فان اكتشافات جابر بن حيان الكيمياوية لم تجعل من الكيمياء علماً « عربياً » كذلك لا يمكن أن يقال إن الجبر و علم المثلثات هما علمان « إسلاميان » مع أن الأول منهما بسطه الخوارزمي ، و الثاني البتاني ، وكلا هما كانا مسلمين ، تماما كما لايستطيع أحد أن يتكلم عن نظرية الجاذبية « الانكليزية » مع

أن صاحبها كان انكليزيا ، كل هذه الأعمال العلمية العظيمة هى ملك مشترك بين الجنس البشرى كله ، و إذن فان المسلمين إذا تبنوا كما هو من واجبهم أن يفعلوا ، الطريق والوسائل الحديثة فى العلوم و الفنون الصناعية ، فانهم بذلك لايفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور و الارتقاء التى تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم ، و لكنهم إذا تبنوا — و هم فى غير حاجـة إلى أن يفعلوا ذلك — أشكال الحياة الغربية و الآداب و العادات و المفاهيم الاجتماعية الغربية فانهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن مايستطيع الغرب أن يقدمه لهم فى هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مماقدمته لهم ثقافتهم نفسها ، و مما يدلهم عليه دينهم نفسه .

ولوأن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقى وسيلة لا غاية فى ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب ، بل ربمااستطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سرطلاوة الحياة الضائع(١) »

الفـــراغ الأكبر

والعبقرى المطلوب : إن الفراغ الهائل الأكبر فى العالم الاسلامى هو وجود ذلك العبقرى العصامى الذى يواجه الحضارة الغربيـة بشجاعة و إيمان وذكاء ، و يشق له طريقاً خاصاً بين مناهجها و مذاهبها ، و بين فضائلها و رذائلها ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد و المحاكاة و عن التطرف و المغالاة ، غير خاضع فيها للاشكال

١ ـ الطريق إلى مكة للاستاذ محمد أسد (ليوبولد سابقاً) ص ٣٧٤ ـ ٢٧٦

و المظاهر ، و المفاهيم السطحية ، متمسكا بالحقائق وأسباب القوة ، و باللباب دون القشور .

العبقرى العصامى الذى يشق له ولبلاده و أمته طريقاً مبتكراً يجمع فيها بين الايمان الذى اختص به الانبياء والرسل والدين الذى أكرمه الله و أمته به عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، و بين العلم الذى ليس ملك أمة و لابلد و لاعصر ، يأخذ من الدين الدوافع الخيرة التى هى أعظم قوة وأغنى ثروة فى خدمة الانسانية و بناء صرح المدنية ، و الغايات الرشيدة الصالحة التى لايوحيها إلا الدين السماوى و التربية الدينية السليمة ، و يأخذ من الحضارة الغربية الآلات و الوسائل القوية الكثيرة التى أنتجتها و توصلت إليها فى سيرها العلمى الطويل و فى جهادها المتواصل الشاق ، و لم ينتفع بها الغرب لإفلاسه فى هذا الايمان وفقره فى هذه الدوافع الخيرة و فى هذه الغايات الصالحة ، بل أصبحت تستخدم فى شقاء الانسانية و تقويض أركان المدنية أو لغايات تافهة لاقيمة لها .

العبقرى العصامى الذى يعامل الحضارة الغربية — بعلومها و نظرياتها و اكتشافاتها و طاقاتها — كمواد خام ، يصوغ منها حضارة قوية عصرية مؤسسة على الايمان والأخلاق والتقوى والرحمة و العدل فى جانب ، وعلى القوة و الانتاج و الرفاهة و حب الابتكار فى جانب آخر ، و لا يعامل الحضارة الغربية كشئ قدتم تكوينه و تركيبه و ختم عليه فلا يوخذ إلا برمته و لايقبل إلا على علاته ،

إنما يأخذها كأجزاء ، يختار منها ما يشاء ، و يركب منها جهازاً يخضع لغاياته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه و مايكلفه به دينه من منهج خاص للحياة ، ونظرة خاصة إلى الدنيا ، وسلوك خاص لبنى النوع ، وسعى خاص للآخرة و جهاد دائم « حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » جهازاً مؤسسا على الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم و أنه المثل الكامل ، والامام الدائم و القائد المطاع و النموذج المتبع و السيد المحبوب ، و الخضوع لشريعته كدستور للحياة ، و أساس للتقنين ، و الدين الوحيد الذى تنال به سعادة الدنيا والآخرة و لا يقبل الله سواه .

العبقرى العصامى الذى يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته و بلاده و ماتنفع عملياً و ماليس عليه طابع غرب أوشرق ، إنما هى علوم تجربية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به فى القرون المظلمة و فى عصر الثورة على الدين ، وفى حالة توتر أعصاب و قلق نفوس . يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الالحاد والعداء للدين ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالايمان بفاطر الكون و مدبره ، و يستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق و أكثرسعادة للانسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقرى العصامى الذى لاينظر إلى الغرب كامام وزعيم خالد ، و إلى نفسه كمقلد و تلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق فى بعض العلوم المادية و المعاشية فيأخذ منه

مافاته من التجارب ويفيض عليه بدوره ماسعد به من تراث النبوة ، و يعتقد أنه إن كان فى حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب فى حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، و ربما كان مايتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، و يحاول أن ينهج — بذكائه و جمعه بين حسنات الغرب و الشرق و قوى الروحانية و المادية — منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقديره و تقليده ، ويضيف إلى المدارس الفكرية و المناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية و دراسة و تقليد و اتباع .

هذا هو العبقرى العصامى الذى لايزال مفقوداً فى صفوف القادة و الزعماء فى العالم الاسلامى على كثرتهم و تنوعهم ، و هذا هو العملاق حقاً الذى يبدو فى جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

و إنها أعظم تجربة و أبعدها أثراً ليس فى محيط شعب أو بلد ، و ليس فى محيط العالم الاسلامى فحسب بل فى محيط العالم و فى محيط الانسانية كلها ، و إن التاريخ شاخص ببصره إلى من يقوم بها فى الأقطار الاسلامية و العربية ، ممسك قلمه ليسطر له سطور الثناء و الإجلال و يقلده الزعامة الحقيقية ، و مركز التجديد فى العالم الاسلامى ، و العبقرية و العصامية فى التاريخ الإنسانى ؟

الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحـــة

الموقف الثالث ١٠٠

-+-+-+-+-+-+-